6 me Année, No . 250 — Lundi - 18 - 4 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٥٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ صفر سنة ١٣٥٧ — ١٨ ابريل سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

شركة تنشيف الريق !.

للأستاذ عبد العزيز البشرى

أكثرت الصحف فى هذه الأيام من ذكر مقابلات لحضرة صاحب المعالى وزير الأشغال ، خاصة بتخفيض ثمن المياه فى القاهرة ، كما تردد خبر اجتماعات اللجنة المؤلفة لهذا الغرض من قديم الزمان ، وسالف العصر والأوان ! . ولقد زعم لي زاعم من المؤرخين أصحاب الإحصاء أن اجتماعها الأخير كان الاجتماع الـ ٤١١ ، ٠٣٢ ، ٦٢٤ ، ٨٥٣ ، ٤٧١ ! .

فترى هل آن أن ينجح المسعى ، وتحط الشركة من أثمان الماء ، فقد مضى على سكان القاهرة ستون عاماً ، وستون عاماً غير قليل ، وهم يغصون بماء النيل . وكأن الشاعر كان ينظر بلحظ الغيب إلى القاهريين ومايعانون من شركة المياه حين قال :

تفرّ إلى الشراب إذا غصصنا فكيف إذا غصصنا بالشراب؟

ترى هل ينجح السعى هذه المرة ويحق لساكن القاهرة أن يتمثل بقول الشاعر :

فساغ لى الشراب وكنت قبلاً أكاد أغص بالماء الفرات ؟

يا قومنا : أقسم لكم بالله تعالى ، غير حانث ولا آثم ، إن الشركة ليست تأتينا بالماء من إڤيان ، ولا من إكس ليبان ، ولا من ڤيشي ولا من بلاد اليابان حتى يُلتمس لها العذر ، بنفقات النقل في البر والبحر ، وأجور الحزم واللفّ والتعبئة والصفّ ، والتأمين خوف الغرق والحريق ، وما عسى أن يدركه من العطب في أثناء الطريق . وناهيكم بحساب ما قد يكسد في الأسواق منه ، وما قد يبور في المتاجر بانصراف (الهواة) عنه . ومن يدري فلربما ظهرت (ماركة) ماء جديدة . (موديل سنة ١٩٣٨ أو ١٩٣٩) ، فيها من المزايا ما ليس في هذا الماء ، في ريّ العطاش وبلّ صَدَى الظِّماء !

ليست تجيء بشيء من هذا حتى تغلو هذا الغلوّ في الأسعار ، توقِّياً للنفقات وتوقياً للخسار . إنما تدفع إلينا الماء من نيلنا الذي يشقّ مدينتنا ، والذي يجري بين أيدينا ، والذي طالما طغى وزاد ، حتى أغرق البلاد ، وأهلك العباد ، وأتى على اليابسة والخضراء ، وألقى بربّان الخذور إلى متن العراء . بل إن من يرى متدفّقه في دمياط أو في رشيد ، ليحسب أنه ماض لريّ العالم القديم والعالم الجديد . وتراه يغذوا في شمالنا وجنوبنا ألف ترعة ، فإذا جاز بنا ضيقت الشركة ذرعه ، وباعتنا ماءه (بالشربة) والجرعة ! حتى أصبحنا ، ونحن نغدو على حافتيه ونروح ، تتناشد قول الشاعر :

يا سرحة الماء قد سُدَّت موارده
أما إليك طريق غير مسدود ؟

* * *

حقاً يا سيدتي الشركة ، لقد سامتنا (عداواتك) رهقاً وعذابا ، وجرّعتنا من نيلنا علقاً وصابا ، وكان من قبل سكراً مدابا ، وكان شهداً وجُلاّبا ، لقد ساغ ورداً وحلا شرابا ! .

* * *

حقا ، يا سيدتي الشركة ، إنك لتروّقين الماء ولكنك تعكّرين النفوس ، وتملأين الآنية ولكنك تخلين الجيوب حتى من الفلوس !

* * *

ياسبحان الله ، يا شركة ! تعطيننا الماء وتقتضين الذهب ، ولو كان مالنا نيلا لجفّ يا شركةُ من كثرة النزع ونضب !

إرحمينا ، يا شركة ، واعملي معنا بالمثل الذي قالته العامة من قديم الزمان : « المية ما تفوتشي على عطشان » !!!

وبعد ، فعندي ، يا سيدتي الشركة ، أكثر من هذا ، ولكن :

في فمي ماء وهل ينطق من في فيه ماء

* * *

ونرجع إلى سياقة الحديث فنقول : أفآن لوزارة الأشغال أن تنجز الوعود ، ولشركة المياه أن تعدل عن دلّها المعهود ، فترفق في ثمن الماء ، وتخفف عن كواهلنا ما يهدّدها من الأعباء ، فقد اعترانا الداء من ناحية الدواء . ولله در شاعر الغبراء :

من غصّ داوى بشرب الماء غصته
فكيف حال الذي قد غصّ بالماء ؟

فإن فعلت وإلا فقد طابت الهجرة إلى البراري والقفار ، لنتعوّض عن ماء النيل ماء الآبار والأمطار . وإني لأخشى أن تلاحقنا الشركة هناك ، وتبسط علينا سوط (الاشتراك) ، بعد أن تحوز ماء الغمام في مواسير ، وتختم بالعداد على كل بير . فالشركة وراءنا ولو تعلقنا بالسحاب ، أو تدسّسنا في التراب ، وأمرنا إلى من له المرجع والمآب !

* * *

أرجو أن تنصفينا ، يا شركة المياه ، وتفرّجي عنا من هذا الضيق ، وإلا اضطررنا إلى أن ندعوك « شركة تنشيف الريق » ... والسلام

عبد العزيز البشري

قضية اللغـــة العربية

للأستاذ أحمد خاكى

يرى الـكاتب أن اللغة ينبغي أن تكون لغة معان قبل أن تكون لغة ألفاظ . وأن تعليمها ينبغى أن يرمي إلى ثلاثة أغراض : أولها التدريب العقلى ، وثانيها الخبرة الحسية أو الجمالية ، وثالثها الوجهة النفسية . وهو يبحث فى بعض وسائل تعليم اللغة العربية وينقدها فى هذا المقال

١ — أصول نفسية لتعليم اللغات

إذا نحن عالجنا الوسائل التى تكفل إدراك الغايات من تعلم اللغة العربية ، وجدنا أنها شعبة من الخطط العامة التى ترسمها المربون وعلماء النفس فى العصر الحديث . ويسيطر على التربية فى هذا العصر مدرستان متكافئتان من مدارس الفكر : أولاهما يتزعمها فرويد ، وثانيتهما كان زعيمها بافلوف

ويذهب الأولون إلى أن النفس جماع الغرائز والميول الفطرية ، وهذه تأتلف فى أحيان وتختلف فى أحيان أخرى . ولقد اتجهت التربية فى هـذا العصر وجهة من يحاول أن ينشئ تلك الميول سواء أكان ذلك بالاستعلاء بها أم بالتهدّى إليها . وقامت فلسفة التربية على أساس من تلك الغرائز المتوافقة المتناكرة ، بل لقد كان فتحاً جديداً فى التربية أن أصبح الطفل موضع العناية عند المربين . ولعل روسو وأضرابه من فلاسفة القرن الثامن عشر كانوا أول من نادي بتربية الطفل كطفل ، وأول من هيأ السبيل للعلماء المحدثين . على أن تلك المسألة قد اختلجت بين الفلسفة والأدب خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، حتى قام فرويد يؤصل أصولها النفسية فى السنوات القليلة الماضية . وهنا ظهرت فى التربية مبادئ الحرية التى تحاول أن تساير ميول الطفل وغرائزه ، وذهب المربون يصطنعون وسائل التعليم على هدى تلك المبادئ الحديثة ، فأفلحوا في اصطناع الكثير منها فيما يتصل بكل فروع المعرفة ومنها اللغات .

والطفل عند هؤلاء عامل كبير فى تربية نفسه ، فليس هو جهازاً مستقبلا ، وليس موقفه سلبياً محضاً ، وليس ينعم بتلك القابلية التى تستوعب أيّ شئ وكل شئ من غير أن يكون له من نفسه سلطان على ما يعلم وما يعمل ، وإنما نفسية الطفل عندهم فعالة مؤثرة ، فهو تتنازعه الهواجس والعواطف والميول . وعلينا نحن أن نبسط له من العلوم ما يترواه وينعم به . أما وسائلنا نخيرها ما ساير ميول الطفل حتى يدفعه الشوق إلى الاستزادة من ألوان المعرفة ، وحتى يصبح تعليمه داخلياً فعالاً لا خارجياً لا يكاد يتدسى إلى الصميم

وإلى جانب تلك المدرسة النفسية القاهرة ظهرت مدرسة أخرى تؤمن بالغرائز وبالميول أيضاً ، لكنها تؤمن فوق كل ذلك بمـا يسمونه الأفعال المنعكسة reflex actions وتلك مدرسة العالم النفسي بافلوف ؛ فلا يذهب هؤلاء فى تقدير الغرائز مثل ما يذهب أصحاب فرويد ولا يمعنون فى تقديرها مثلما يمعن الأولون ، وإنما يضعونها جنباً إلى جنب مع الأفعال المنعكسة التى يستطيع أن يكسبها الطفل ، ويؤمن هؤلاء بأن الغرائز والميول قابلة للتعديل عند الإنسان وأنه قد يكسب نوعاً خاصاً من المهارة إذا هو وضع تحت مؤثر دائم متكرر . فالتقليد والتكرار والمراجعة كل أولئك جديرة بأن ترشد المتعلم إلى إحسان المهارات وهى جديرة بأن تكون أساساً ثابتاً لعلوم كسب المهارة

ومدرسة بافلوف ومدرسة فرويد كلتاهما على حق . وهما فى ذاتهما تمثلان وجهتى نظر مختلفتين لكنهما متكاملتان . أما الأولى فهي تمثل الحرية فى التربية ، وأما الثانية فهى تمثل النظام . الأولى تعترف بملكات الطفل وقواه ، والثانية تحاول أن تشيع نظاماً خاصاً يأتلف تلك الملكات ، والأولى تسمح للطفل بأن ينمى كل ما وهب من مدارك ، والثانية تربط تلك المدارك بعضها ببعض حتى تصبح موثوقة الأجزاء مرتبطة الأطراف

والآراء النفسية التى يذهب إليها الفريقان تخلق دستوراً بأ كمله تجتلى فيه أحسن الوسائل لتعليم اللغات ، فاللغة من ناحية ينبغى لها أن ترتبط بالميول والغرائز التى تجتمع لدى الطفل . وينبغى أن تكون مادتها بحيث تهز مشاعره وتحرك أعطاف قلبه ، وهى من ناحية أخرى إحدى المهارات التى يكسبها الأطفال كأى فعل منعكس آخر ، ولن يتأتى ذلك حتى يكون إحسانها نتيجة لمؤثر أو باعث شديد دائم متكرر . من هذين الوجهين ينبغى لنا أن نثبت الوسائل التى تكفل إدراك الغايات من تعلم العربية . وسنرى فى نقد وسائل التعليم الحاضرة أنها بعيدة كل البعد عن ميول التلاميذ من جهة ، وأنها لا تقوم على بواعث شديدة متكررة من

جهة أخرى ، وأن تعليمها عندنا لن يستقيم حتى نداول بين هذين الوجهين من وجوه التربية الحديثة

٢ — طرق التعليم

تتصل طرق تعليم اللغات إذن بميول الانسان وغرائزه . وقد بحث المربون أقرب تلك الميول وأكثرها مواتاة فوجدوا أن اللعب يجلوها ، واتخذه كثير من المربين وسيلة من وسائل التعليم ، واللعب بمعناه النفسي فيض من النشاط الذي يغمر نفس الطفل ، وهو أشد أثراً فيها من العمل . فالعمل يفرض فرضاً لكن اللعب بادرة من وحي النفس ، والعمل غرض قد يكون نفعياً يفسد النشاط ويخبث النفس ، ولكن اللعب لا يعرف لنفسه حدوداً ، ولا ينقلب شراً إلا إذا أصبح عبثاً غير محمود . وفي اللعب تتنظر قوى الأطفال بأكملها وتتوافق مداركهم ، واللعب في المدرسة الحديثة وسيلة للعمل فاذا أفلح معلمو اللغات في اتخاذه وسيلة لتعليمها حققوا ما ذهب إليه علماء النفس وربطوا اللغة بالميول الفطرية ربطاً محكماً لا انفصام له

ولعل القصة أول أنواع اللعب التي نستعين بها في تعليم اللغة . وعند الطفل ميل طبيعي للتمثيل . ولسنا نقصد بالتمثيل ذلك النوع المسرحي الذي يحسنه الممثلون ، وإنما نقصد ما يميل إليه الأطفال من إحلال أنفسهم محل بطل القصة أو بطلتها . وأنت إذا بحثت عقيدة الطفل — بل إذا تعمقت عقائدنا الأدبية — وجدت أنها خليط من الحقيقة والخيال . ففي القصة يتمثل القارئ أو السامع نفسه في الشخصية الروائية التي يميل إليها . فالبطل ينقذ فتاة ، والبطل يقود أمة نحو المجد ، والبطل كثير الحيطة أيد شجاع ، وخلال القصة تعلو عقيدة الطفل حتى ليحسب الخيال واقعاً ، وحتى ليتداخله الزهو فيخال نفسه بطلا . ذلك عندنا نوع اللعب الذي يدفع بالناشئين إلى القراءة ، فهو يستغرق تفكيرهم ، وهو يستهلك جهدهم . وهو بعد ذلك دعامة لا تتزايل من دعامات اللغة

ولسنا ندري من اللوم على حالة الكساد التي قضت على أدب الطفولة عندنا ، لكنا نرى عند الطفل الانجليزي آلافاً من الكتب الجميلة التي تزخر بالصور والرسوم . والطفل الانجليزي يتمتع في صباه بما يرى وما يقرأ ، وهو يندفع وراء القراءة بوحي نفسه ، لأن كل هذه الكتب تصادف هواه ، لكن الطفل المصري محدود الاختيار . فالمدرسة لا تعترف بما يقرأه في الخارج مهما بلغت عنايته بالقراءة ، وهو لا يجد إلا قليلاً من القصص المترجم إذا شاء أن يقرأ ، وإنه ليصرفه عن القراءة تبرم بعض المدرسين بالقصة ووصفها بأنها نوع من أنواع العبث . هذا على أنه لا يجد « مكتبة » من القصص ، لأن وزارة المعارف هي التي تحكم مصائر الأمور في التعليم ، ولأن وزارة المعارف لم تتضمن مركزيتها الاعتراف بالقصة أداة للتعليم في العربية ، ولو أنها اعترفت بها أداة للتعليم في الانجليزية منذ زمن بعيد

عالج المستر مان Mann خبير التربية هذه المشكلة في تقريره عندما تحدث عن الفرق بين لغة الحديث ولغة الكتابة في مصر . وعنده أنه لن ترقى لغة الكتابة في مصر ولن ينقص الفرق بينها وبين لغة الحديث حتى نخلق أدباً قائماً للأطفال يتضمن مادة جذابة توافق عقل الطفل . وينبغي لكتب الطفولة في رأيه « أن تحتوي تلك القصص ذات اللون الخاص التي تتمثل في أدب كل شعب من الشعوب » . والحق أن العربية ذات أدب شعبي تمثله كتب كألف ليلة وليلة . لكن ألف ليلة وليلة طبع بالانجليزية مئات المرات في أشكال وأحجام جميلة مختلفة . وقد بلغ من عنايتنا الضئيلة بمثل هذا الكتاب أننا بدأنا الآن فقط بترجمة ترجماته الانجليزية إلى العربية . ومثل هذا يقال في القصص الأخرى التي انتقلت في عصر النهضة من الشرق إلى الغرب

ولقد يطول الحديث بنا إذا نحن استرسلنا في الكتابة عن تقصيرنا في خلق أدب الطفولة . وحسبنا أن نقول إن وزارة المعارف هي الهيئة الوحيدة التي تستطيع أن تخلق مثل هـذا الأدب . وما دامت المركزية أصلاً من أصول إدارة التعليم عندنا فوزارة المعارف هي التي تستطيع أن تنتخب مدرسين وكاتبين تحبسهم على عمل مثل هذا . ولا غناء عندنا في جهود فردية محمودة يقوم بها الفينة بعد الفينة أفراد متحمسون

* * *

والتمثيل المسرحي نفسه وسيلة تكفل حرص الأطفال على تعلم اللغة . ولسنا نقصد بذلك أن يكون له — كما له اليوم — إدارة خاصة مركزية . ولا أن يكون مقصوراً على بضعة أفراد من التلاميذ يمثلون فصلاً أو فصلين في العام لأن ذلك قد سار المدارس الثانوية عندنا منذ نشأتها إلا أنه لم يفد اللغة إلا قليلاً . وإنما نقصد بالتمثيل المسرحي أن يكون لكل مدرس اتجاه خاص يحبب إلى تلاميذه

ممارسة التمثيل . فإذا هو أمدهم بالقصص المسرحية العربية وعاونهم على تمثيلها من غير مسرح ولا ستائر كان فى ذلك إدراك للغرض من تعلم اللغة ، وكان فيه رياضة جمالية سامية . وخيال الطفولة ضمين بأن ينشىء مسرحاً خيالياً ، وكفيل بأن يسير بالقصة إلى حد كبير من الإتقان

والتمثيل راسخ كوسيلة من وسائل تعليم اللغة لأنه يقوم على التقليد ؛ والتقليد ميل غريزي هو الأساس الأول لدروس كسب المهارة . فإذا اتخذنا التمثيل ذريعة لتعليم اللغة أوفينا على الغاية مما نرمى إليه من تعليم العربية ؛ وأدركنا فى نفس الوقت غرضنا الحسى أو الجمالى الذى أسلفنا الحديث عنه

ومثل ذلك فكرة الموسيقى والأناشيد وإلقاء الشعر والخطب عند الأطفال . والذى قلناه عن التمثيل ينطبق جميعه على كل هؤلاء ؛ وليس يكفينا فى هذه المرة أيضاً أن تكون هناك إدارة مركزية للموسيقى تلقن عدداً من الأطفال بضعة أناشيد كل عام ، بل الذى يعنينا أن تكون الأناشيد والموسيقى من بين الكفايات التى يحسنها المدرسون حتى يوفقوا بينها وبين دروس العربية ، وحتى يتخذوها مُعيناً على إحسان التوقيع وإتقان الخطابة ، والسيطرة على مخارج الحروف والكلام . دع عنك ما تراه الطفولة فى كل ذلك من الترفيه ، وما تجده من الدواعى إلى الاستزادة من معين اللغة

فإذا درج الطفل إلى الصبا بعد ذلك كان فى الأدب مجال واسع لتحبيب اللغة إليه . والأدب الذى ندعو إلى دراسته هو الأدب الذى لا يقف جامداً عند سير الشعراء والأدباء ، ولا يتغير بعصور السياسة ، ولا تتقطع بصاحبه الأسباب دون تذوق الجمال . والناشئ الذى قضى أيام الطفولة فى جو خيالى من القصص والغناء والتمثيل خليق به أن يصل ذلك بالأدب الموروث ، وأن يتأتى لأدب الرجال بما يزخر من شعر سام وبما يحتوى من نثر عالى منتظم

ينبغى أن يكون من أغراض الأدب أن نحيط المتعلم علماً بما ازّينت به اللغة من جمال ، وأن نروض الفتيان على أسرار القول المتسق . والعبث بعينه أن نحاول تحفيظهم أين ومتى مات الأدباء والمتفننون . والعبث بعينه أن نفرض عليهم استذكار سير الأدباء وما اتصف به شعر كل منهم من جزالة اللفظ ، وما يترقرق فى كلامهم من رقة المعنى ولطف الروح ، وألا يكون ذلك إلا كلاماً يرددونه كالببغاوات ابتغاء النجاح فى الامتحان . بل الخير كل الخير أن ندفع بهم فى غمار المأثور من الأدب نعلمهم الأصول ونزكيهم فى نفس الشعر ونفس القصص ونفس المقامات حتى يخلق كل واحد منهم لنفسه مزاجاً أدبياً أو فنياً خاصاً فيما يتصل بشئون اللغة والأدب

ولعلنا نستطيع بعد الذى أسلفنا من وصف الاتجاه الحديث فى تعليم اللغات أن نلمس موطن العلة فى أساليبنا الحاضرة . وبين الذى فصلناه وبين الذى يقع الآن اختلاف عريض ليس من سبيل إلى تلافيه حتى تتكثر الجهود بعد الجهود ، وحتى تقوم مدرسة من مدارس الفكر لتخلق جوًّا آخر غير الذى تعيش فيه اللغة . وقد تحدرت فى أصول التعليم عندنا تقاليد ما زالت تنكر على الطفل حياته الوجدانية الخاصة ، فلم يقم إلا القليل يمثون القصص التى توائم الطفولة . ولم يدرك أحد بعدُ العلاقة بين اللعب الحر وبين اللغة ، ولا نحسب أننا فى حالة نتوقع فيها أن نقيم العلاقة بين اللغة وبين الموسيقى والغناء ، فإن هذا أمل غير قريب التحقيق

على أن الذى نراه قريب التحقيق هو شىء واحد ينتظم كل ما ذكرنا . فإن المعلمين يخلطون دائماً بين الوسيلة وبين الغاية . ويؤمنون بأن الذى اتخذوه وسيلة إنما هو غاية فى نفسه . فقد اتخذ المعلمون الأقدمون النحو وعلوم البلاغة وسائل لتقويم اللسان وسلامة المعنى ، ويتخذها المعلمون المحدثون غايات فى نفسها يعقدون فيها أعسر الامتحانات . ولو أنهم علموا أن إحسان القول وإتقان القراءة والكتابة هى نفسها الغايات لتغيرت نظم التعليم عندنا ولتهيأ جو صالح يتحول فيه تعليم اللغات إلى المرتبة التى نبغى

* * *

ولشد ما يعجب المرء حينما يمر بنظرة عجلى على الكتب التى يدرسها تلاميذ المدارس الثانوية فى مختلف الفرق . وأشهد أنى لأتردد كثيراً أن أعقد موازنة بين الكتب العربية التى يدرسونها والكتب الانجليزية . ولعلك تدرك قليلا من مثل هذا التردد إذا علمت أن التلميذ فى السنة الأولى يقرأ حوالي أربعمائة صفحة من الانجليزية وهو يقرأ مثل هذا القدر فى السنة الثانية ، ويزيد على الخمسمائة فى الثالثة ثم يربى على الستمائة فى الرابعة . أما إذا سألتنى ماذا يقرأ هؤلاء فى العربية أجبتك بأن التلميذ لا يقرأ نصف هذا

القدر فى فرقته . ويا لضياع مجهود البلاغة والنحو لو لم يستمن بمض هؤلاء التلاميذ بالمجلات وروايات الجيب ثم بعد ذلك بالأدب الرخيص

ولنا حديث آخر عن تعليم النحو والقواعد ، واتصال ذلك بفكرة الأفعال المنعكسة نرجو أن نزجيه إليك فى الأسبوع القادم إن شاء الله .

أحمد مكى

الحبشة تهدد مصر

بمنع زيادة النيل سنة ٨٤٧

لأستاذ جليـــل

الفاوضات والمخاوضات[1] بين (الحليفة) بريطانية ؛ و(الجارة) إيطالية : « يا جارتا ما أنت جارة[2] ! » — بمثتنى على أن أنشر فى (الرسالة) الغراء هذه الكلمة ذات العنوان تبصرة وذكرى

* * *

قال شاعرنا شوقى :

فمصر الرياض ، وسودانها   عيون الرياض وخلجانها
وما هو ماء ولكنــه   وريد الحياة وشريانها
تتمم مصر ينابيعــــه   كما تمم العين إنسانها
وأهلوه منـذ جرى عـذبه   عشيرة مصر وجيرانها[3]

إذا لم يعتقد المصرى أن السودان مصر وأن مصر السودان ، وإذا لم يؤمن بوحدة وجودها

أنا من أهوى ومن أهوى أنا   نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرته أبصرتنى   وإذا أبصرتنى أبصرتنا[4]

* * *

إذا تبـدّى حبيبى   بأى عـين أراه ؟
بعينــه لا بعينى   فما يراه سواه[1]

فإن المصرى إذا لم يعتقـد ذلك الاعتقاد ، ويؤمن بتلك (الوحدة) إيمانه بالله ورسوله وقرآنه فهو كافر حقٌ كافرٍ بالمصرية .

وما أريد فى هذه الكلمة أن أثبت أن الكون حقيقة وليس بوهم ، وأن شمساً فى السماء تطلع علينا كل يوم ، فإن البديهيات اليقينيات هن بديهيات يقينيات

وليس يصح فى الأفهام شىء   إذا احتاج النهار إلى دليل[2]

وبعد فهذا خبر فى كتاب (التبر المسبوك) للعلامة (السخاوى) فى الصفحة (٧٠) فى رسالة من (النجاشى) ملك الحبشـة إلى الملك الظاهر (جقمق) ملك مصر المعظم فى سنة (٨٤٧) أرويه ليتلوه المصرى متبصراً فيه ، مفكراً فى بعد مراميه .

قال النجاشى متهدداً متوعداً :

« وليس يخفى عليكم ولا على سلطانكم أن بحر النيل ينجرُ إليكم من بلادنا ، ولنا الاستطاعة على أن نمنع الزيادة التى تروى بها بلادكم عن المشى إليكم ، لأن لنا بلاداً نفتح لها أماكن فوقانية يتصرف فيها إلى أماكن أُخَر قبل أن يجىء إليكم ، ولا يمنعنا عن ذلك إلا تقوى الله تعالى . وقد عرضنا على مسامعكم ما ينبغى إعلامه ، فاعملوا أنتم بما يلزمكم »

هذا كتاب النجاشى ، وهو لا يحتاج إلى تفسير ولا هامش ولا تعليق . وإنه ليدمغ باطل ألف مقالة ومقالة — مثل ألف ليلة وليلة — ينمقها ويلفقها سوفسطائى[3] منحط فى هوى العدو « أكل من حلوائهم ، فانحط فى أهوائهم » ليبرهن أن الإنسان مالكٌ الماء ، متمدناً (أوربياً) لن يقتل أخاه الإنسان — وإن ناكره[4] وخاصمه — بالعطش[5]

« * »

(١) تخاوضوا : تفاوضوا ، وبينهما مفاوضة ومخاوضة ، وخاوضه فى البيع : عارضه ، وخاوضه فى الماء (الأساس ، التاج) . والمعضلة هي فى الدأماء ... البحر

(٢) (جارتا) ياء المتكلم قلبت ألفاً (ما) تعجبية مبتدأ (أنت) الخبر (جارة) تمييز . يتعجب من حسن جوارها عادا إياها من أهل البيت ... لا جارة مجاورة فقط ...

(٣) من قصيدة ختامها :

ودعوى القوى كدعوى السباع   من الناب والظفر برهانها

(٤) قيل : للحلاج

(١) محي الدين بن عربى

(٢) المتنبى

(٣) فى (المحصل) : السوفسطائية الذين قدحوا فى الحسيات والبديهيات . وفى (التعريفات) : السفسطة قياس مركب من الوهميات والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته

(٤) ناكره : حاربه

(٥) إشارة إلى صحف كانت تهون أمر السودان وبتره وتقول مثل هذا القول

فى المذهب الرمزى

للأستاذ زكى طليمات

مفتش التمثيل بوزارة المعارف

« كتبنا فى العدد الماضى نقداً (لمفرق الطريق) وهى مسرحية تنزع نزعة رمزية فى مبناها ومعناها كتبها الأستاذ بشر فارس فجاءت تحفة فنية رفيعة . ومقال اليوم بحث فى الرمزية على القدر الذى لا تضيق به صفحات الرسالة » ز ك

الرمزية إحدى الاتجاهات النفسية فى الإفصاح والتبيين ، فهى وسيلة من وسائل التعبير عن خلجات النفس تتجاوز الرمز بشيء إلى شيء آخر ، إلى إظهار الغامض والمبهم والتائه فى مغلقات الروح ، وتسجيل أصداء العقل الباطن

الرمزية عريقة فى الإنسان

ليس الرمز بالشيء الجديد فى نتاج الشعور الإنسانى . ولو رجعنا إلى الوراء نتأثر مصدر الرمز لوجدناه بعيداً فى أغوار الشعور الإنسانى منذ القدم ؛ فقد سجل الإنسان الغائر فى أجواف الماضى بالنقش على الحجر والحفر على جدران المغاور ، خلجات نفسه ونجى التائه فيها ، بعد أن أعياه الفكر فى الكشف عنها ومعرفة بواعثها ، فجاءت رموزاً توحى ولا تفصح الافصاح كله عن أصداء النفس ولوامعها . بل من الرمز انبثقت العقائد لدى الزنوج . وما سائر طرائق الوثنية إلا رموز متتابعة لحيرة النفس أمام عجزها عن تفهم الظاهر الطبيعية الغامضة وقصورها عن إدراك أسرار القوى الخفية كالقدر والحياة والموت والبعث

فلما كد الذهن مستنبطاً أوضاعاً للحياة مصطنعاً دعائم المدنية ، وتقدم شأن العلم فحسر اللثام عن حقائق لم تتح معرفتها للأولين ضعفت النزعة إلى الرمز بعض الشيء ، ولازمها الضعف متزلاً بهــا الشحوب والهزال كلما دق الفكر فى وضع الصيغ واستنباط القيم ، وكلما كشف العلم عن حقول جديدة خفية من مظاهر الكون . وسرعان ما شغل الإنسان بالملموس من الأشياء عن التفكير وراء اللمس والحس ، وصارت خلجات النفس تصدر مصنوعة فى قوالب ، فكانت (كلاسيكية) التفكير والأدب والفن وقويت دعوة العلم بعــد أن هيمن الإنسان على القوى الطبيعية فنظم عملها ، وسخرها لمنفعتــه ولرفاهيته هازئاً بما راعه من جبروتها الأول ؛ ولكن ليتلقى سخريتها أحياناً وهو كظيم حينما يعاودها هذا الجبروت ، وهو طبيعة فيهــا ، فينفلت قيادها من يده وتطغى على قدرته . وبلغت هذه الدعوة أوجها فى أوائل النصف الأخير من القرن الماضى بعد أن سخر البخار فى وسائل النقل وإدارة الآلة ، وجاء العلم (بالمعمل) يفسر الغوامض ويحلل المركبات فقويت نزعة الإنسان إلى الأخذ بما ينتجه التحليل ، وصار العقل الصرف هو الميزان لديه فى الحكم على كل ما يقع عليه الحس وما لا يقع ، فاستنبط الفكر متأثراً (بالمعمل) ، واقعية الأدب والفن ، وهى النقل المجرد عن الطبيعة فى المحسوس والمرئى الظاهر من الأشياء ، وبذلك كمل طغيان المحسوس على ما وراء الحس

بيد أنه على الرغم من طغيان المحسوس على ما وراء الحس فإن النزعة الرمزية لم تمت فى النفس ، بل كانت لها يقظات خلال هذه المراحل المتوالية من التقدم الذهنى ، ترفع صوتها كلما راعها القصور عن إدراك كنه الحالات التى تعترضها

وما (رومانسية) الأدب والفن إلا مظهر شاحب من هذه الحالة ، وهى نزعة حطمت فى وقت ما القوالب والصيغ الكلاسيكية التى هى من فعل الفكر الخالص ، وأرسلت من القلب خلجة إحساسية مترعة ، وكان ذلك فى أواخر القرن السادس عشر فى انجلترا ، ثم فى أوائل القرن التاسع عشر فى فرنسا

وليس هذا بالأمر العجيب المستغرب ، فالانسان يحيا بغرائزه أحياناً أكثر مما يعيش بعقله الخالص . وآية ذلك أن الإنسان ما برح يخاف الموت وهو موقن بعقله أنه نهاية محتمة على كل حى

وكان بعد ذلك أن أفلس العلم فى كثير من المسائل الحيوية على الرغم من اختراع الكهرباء وتنظيم شئون الحياة ، فقلل العلم من غلوائه فى تفسير كل شيء ، وأخفت من صوته فى دعواه الكشف عن كل غامض ، وسرعان ما استيقظت نزعة الرمز من جديد ، وبرز لها طابع فى أدب أهل الشمال من أوروبا ، وهم قوم يسكنون بلاداً يخفى الضباب معالمها فى وضح النهار ، وتطغى قتمة السحب على زرقة السماء طوال العام إلا أشهراً معدودة

هنريك ابسن وشعراء الرمزية

فطلع (أبسن) — وذلك فى أقصى الشمال ببلاد النرويج — بروايات رمزية أهمها (براند) و (بيرجينت) ، وانحدرت الرمزية

إلى البلجيك وهولندا ، فلاقت مستقراً خصباً إذ الطبيعة فى تلك البلاد تبدو كأنها غارقة فى التفكير والتروي والمراجعة ، وسرت عدوى الرمزية إلى فرنسا فطبعت أدبها وفنها ردحاً من الزمن تحتفظ منه واعية الأدب بأسماء (فيرهارن) و (رودنباخ) و (فان لربرج) و (رامبو) و (فيرلين) و (مالارميه) فى الشعر ، ثم (ماترلنج) فى الروايات التمثيلية . وكانت الحقبة الأخيرة من القرن الماضي عصر ازدهار للأدب الرمزي فى فرنسا ، وكانت الحركة فى صميمها نزعة إلى التحرر من أدب الواقع والملموس إلى ارتياد آفاق جديدة طلباً للبحث عن الغامض من العواطف والتائه من الخلجات فى منعطفات الروح ومثاني المادة ؛ وهاديهم فى البحث والتنقيب الإحساس المرهف والإدراك المحض (والتخيل المنسرح) ، وصاغوا ما انتهوا إليه فى أسلوب طريف مترع بالأخيلة مشرق بالروحانية . إلا أنه كان للبعض منهم شطحات فى الخيال ، وجولات بعيدة فيما وراء المادة ؛ وغوص عميق فى متاهات القلب لم يخرجوا منه بكثير يؤبه له

ولا يتسع هذا المقام للإحاطة بالرمزية فى آداب الأمم الأخرى

الرمزية فى الأدب الإسلامى

أما فى العربية الاسلامية ، فالصوفية أبين مظاهر الرمزية . إلا أن الرمزية كانت لدى العرب علماً وليست فناً ؛ وبين العلم والفن فارق معروف ؛ ولذلك لم تفرض طابعها على كثير من الأدب الاسلامي ، وإن استقامت لها طريقة فى شعر (الخيام) وأمثاله ، ومن أخذ عنهم ، أو نحوا نحوه

والرمزية عند (الخيام) ضرب من الفورة الحسية حلت فيها عبقة روحانية

ولعل السبب فى أن الأدب العربي لم ينحرف إلى الرمزية الغامضة فى كثير من نتاجه ، ويخرج عن الواقعية و (الكلاسيكية) يرجع إلى الطبع البدوي الذى يميل إلى الوضوح والبساطة ، وإلى طبيعة البلاد التي نشأ ودرج وشب فيها ، حيث الشمس تسطع من أول النهار إلى آخره في سماء صافية متدخلة فى الثنايا والشقوق ، كاشفة عن ظواهر الأشياء فى جلاء ساطع ، كما أن الأدب الإسلامي لم يخرج عن الأوضاع الذى أورثه إياها الأدب الجاهلي ، واقتصر أمر التوليد فيه على التنميق فى الصيغ الشكلية

ويقيني أننا نتحرج إذا قضينا بأن الأدب العربي أو الاسلامي لم يعرفا الرمزية فى تراثهما الكبير ، إذ أن معين هذين الأدبين هو نفس المعين الذى أخذ منه الأدب الأوربي ، ألا وهو النفس البشرية . وما برح البحث والاستقراء يتعقبان مخلفات الأدب العربي والاسلامي ، وهى مخلفات ، وياللأسف ، ما برحت مشتتة فى دور الكتب ما بين أوربا وأمريكا ليلقيا كل حين ضوءاً جديداً عليها

هذا والرمزية كما أسلفنا شيء كامن فى النفس ، تبدو صريحة كلما استشفتها الرغبة الذهنية إلى التطلع إلى ما وراء المحسوس ، وهو الباطن الثائر فى أعماق النفس ، أو كلما أحست النفس بهزيمة العقل أمام الغامض من الأمور . وها نحن أولاء فى القرن العشرين ، وهو قرن أصبحت للعلم فيه دولة ، ومع ذلك فقد قامت نظريات جديدة تدحض نظريات علمية وفلكية اتفقت عليها الآراء وقطعت بصحتها منذ مئات السنين . وهناك بديهيات عديدة ما برح للعقل فيها حيرة . ولم يبالغ (بوانكاريه) حينما قرر أن تقدم العلم تقدم آلي عجيب ، إلا أنه عجز عن أن يكشف الكشف الكامل عن كثير من الحقائق

الرمزية فى الأدب العربي المستحدث

أما ما يحضر أذهاننا من آثار الرمزية فى الأدب العربي المستحدث فينحصر فى كتابات (جبران خليل جبران) وهو لبناني المولد عاش دهراً طويلاً من حياته فى المهجر الأمريكي فتأثر بكثير من كتاب الغرب ، واستقامت فى كتاباته طريقة رمزية تخالطها نزعة رومانسية . وقرأنا بعد ذلك شعراً رمزياً فى الأداء للدكتور بشر فارس وذلك منذ عشر سنوات فى مجلة المقتطف

وفى مؤلفات (توفيق الحكيم) نلمح الرمزية لامعة فى بعض ما أخرجه للمسرح ، ولا سيما فى روايته (شهر زاد) . وليس فى هذا ما يبعث على العجب ، فلتوفيق الحكيم نزعة صوفية أصيلة ؛ كما أنه أحسن استيعاب مسرحيات الايطالي (بيراندللو) ، وهو أبرز مؤلفي المسرحية الرمزية فى هذا العصر ؛ وتفهم مسرحيات الفرنسي (لونورمان) ؛ وليست مؤلفات (فرويد) و (بيرجسون) مما لم يحسن مطالعتها

فبشر فارس وتوفيق الحكيم يغترفان من مصدر واحد ، الأول يكتب متثبتاً بما تلقنه ، والثاني يؤلف بطبعه وخياله ، إلا أن لكل منهما طرائقه فى التعبير عن رمزيته ، وكلاهما يعيش بذهنه فى أوربا ويحيا بجسمه فى القاهرة .

زكى طليمات

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

– ٣٦ –

وحي الأربعين

أصدر العقاد ديوانه « وحي الأربعين » في سنة ١٩٣٣ ؛ والسياسة المصرية يومئذ تسير في طريق مموج ، وحكومة صدقي باشا تمكن لنفسها بالحديد والنار ، و « الوفد » ومن ورائه الأمة كلها يجاهد حكم الفرد ويكافح للخلاص ، والعقاد يومئذ هو كاتب الوفد الأول ، يكتب المقالة السياسية فترن رنيناً ويلقفها آلاف القراء بلهفة وشوق في كل مدينة وكل قرية ؛ فلا عجب أن يكون العقاد بذلك عند عامة القراء هو أبلغ من كتب وأشعر من نظم ، حتى ليؤول أمره من بعد إلى أن ينحله الدكتور طه حسين بك الوفديُّ المتحمس ، لقب أمير الشعراء ، تملقاً للشعب ونزولاً على هواه ... !

ولقد يكون العقاد يومئذ على حقيقته هو سيدَ الكتاب وأمير الشعراء أو لا يكون ؛ ولكن هذه هي كانت منزلته عند الشعب يومئذ ؛ فلا يعاديه أحد إلا كان عدو الأمة ، ولا يعرض له أحد بالنقد في أي منشآته الأدبية أو السياسية إلا كان في رأي الشعب « دسيسة » وطنية أو صنيعة رجعية ...

هذه هي كانت الحقيقة في تلك الحقبة من التاريخ التي امتزج فيها الأدب بالسياسة امتزاجاً جعل طائفة كريمة من الأدباء يؤثرون الصمت واعتزال الأدب على أن ينزلوا بأنفسهم إلى معترك لا يعرفون أين تبلغ بهم عواقبه . ولكن الرافعي رجل – كان – لا يعرف السياسة ولا يخضع لمؤثراتها ؛ فهو لا يعتبر إلا مذهبه في الأدب وطريقته ؛ وسواء عنده أكان رأيه هو رأي الجماعة أم لا يكون ، ما دام ماضياً على طريقته ونهجه . ولقد قدمت القول بأن الرافعي كان يتربص بالعقاد منذ قريب لينزل إليه في معركة حاسمة تنقع غلته وتبرئ ذات صدره ، فما إن تهيأت له الأسباب بصدور « وحي الأربعين » حتى تحفز للعراك . وكان ما بين العقاد ومخلوف هو السبب المباشر الذي ألهب حمية الرافعي فنزل إلى الميدان مستكملاً أهبته مزوداً بسلاحه ، غير مكترث بما قد يناله من غضب الآلاف من القراء الذين يقدسون العقاد الكاتب تقديساً أعمى فلا يفرقون بين العقاد السياسي والعقاد الأديب ... !

وأرسل الرافعي يستدعيني إليه ذات مساء ، فرحت إليه بعد العشاء بقليل ؛ فإذا هو جالس إلى مكتبه ، وعلى مقربة منه « وحي الأربعين » وإن عليه لثوباً أحمر في لون عرف الديك ، وفي عينيه فتور وضعف ينبي عن السهر والجهد العميق ؛ فإنه ليبدو في مجلسه ذاك كأنه عائد لساعته من معركة حمراء ... !

قال : « لقد فرغت من قراءة الديوان منذ قليل ، وإن لي فيه رأياً . فهل تساهرني الليلة حتى أملي عليك ما أعددت في نقده ؟ »

كانت هذه أول مرة يملي الرافعي عليّ فيها من مقالاته ؛ فكانت فرصة سعيدة لي ، أشهد فيها الرافعي حين يلقى الوحي ، وأصحبه في سبحاته الفكرية يقتنص شوارد الفكر وأوابد المعاني . وكانت فرصة سعيدة له : أن وجد يداً غير يده تحمل له القلم حين يكتب ليفرغ لنفسه ، ويخلو بفكره ؛ وما تعوّد قبلها أن يكتب وفي مجلسه إنسان . وإن أثقل شيء عليه أن يكتب بيده ، ولكن أثقل من ذلك عليه أن يعرف أن عيناً تلاحظه وهو يكتب ، فما زال يكتب لنفسه منذ بدأ متبرماً بهذه المهمة ، ضيق الصدر بما يبذل في الكتابة من جهد . وإن خطه لأردأ خط قرأت في العربية ... حتى اصطفاني لهذا الواجب ، فلزمته ثلاث سنين لا يهم بكتابة مقال إلا دعاني ليمليه عليّ ، حتى انتقلت من طنطا فعاد إلى ما كان من عاداته : يملي على نفسه ويكتب لنفسه ، ولم يسترح إلى كاتب بعدي يشركه في جلوة الوحي وخلوة الكتابة !

* * *

وجلس فأملى عليّ مقاله في نقد « وحي الأربعين » ، من قصاصات في يده لا تزيد إحداها على قدر الكف ، فما فرغ من الاملاء حتى أذن الفجر ، وحتى كانت هذه القصاصات بضعاً وعشرين صفحة كبيرة ، تشغل بضعة عشر نهراً من جريدة البلاغ .

وكانت ليلة تحملت فيها من الجهد والمشقة ما لم أتحمل في ليلة غيرها فقمت منهوك القوة عيّان ، وقام الرافعي في مثل نشاط الشاب في عنفوانه ، كأنما كان عليه عبء فرماه عن كتفيه ... !

وكان بين البلاغ والعقاد خصام ، وكان بينه وبين الرافعي مودة ، فما كادت تصل إليه مقالة الرافعي في البريد المستعجل ظهر ذلك اليوم ، حتى أعلن عنها وبشر القراء أن ينشرها في غد ... وشغلت من البلاغ ثلاث صفحات في يومين ... وكان نقداً مُراً حامياً اجتمع فيه فن الرافعي ، وثورة نفسه ، وحدة طبعه ، وحرارة بغضائه ، ولكنه كان نقداً منزهاً عن العيب

أستطيع أن أقول ويقول معي كثير من أدباء العربية : إن هذه المقالة هي خير ما كتب الرافعي في نقد الشعر ، وأقربها إلى المثال الصحيح ، لولا هفوات قليلة يعفيه من تبعتها أنه إنسان !

من قرأ « على السّفّود » فعابه على الرافعي وأنزله غير ما كان ينزله من نفسه ، فليقرأ مقال الرافعي في نقد « وحي الأربعين » ليرى الرأي المجرّد في شعر الأستاذ العقاد عند الرافعي ...

ومضى يوم واحد ، وظهرت صحيفة الثلاثاء من جريدة الجهاد وفيها رد العقاد على الرافعي ، وقد نفذ إليه من باب لم يحسب الرافعي حسابه ، فتغير وجه الحق ، ودارت المعركة حول محور جديد ...

كان عنوان مقالة العقاد « أصنام الأدب » فيما أذكر ، وكان مدار القول فيهـا هو الطعن على رجلين : هما إسماعيل مظهر ، والمهزار الأصم مصطفى صادق الرافعي . وكان أكثرُها سباباً وشتيمة وأقلها في الرد والدفاع . على أن العقاد لم يردّ رأي الرافعي فيما أخذ عليه من مآخذ إلا في مواضع قليلة ، وترك الرد في أكثر ما عاب عليه الرافعي ، مستعيضاً عن الرد بالشتم والسباب ... !

وإذا كان السبب مفهوماً في طعن العقاد على الرافعي وشتيمته إياه ، فأي سبب حمل العقاد على أن يشرك الأستاذ إسماعيل مظهر مع الرافعي فيما وجّه إليه من الشتم والتهمة ؟

جواب ذلك يفهمه من يعرف أن الأستاذ إسماعيل مظهر صاحب العصور ، هو طابع كتاب « على السفود » وناشره ومروّجه . أفنستطيع أن نحكم من هذا بأن العقاد لم يكن يعني الرد على مقال الرافعي الأخير وحده ؛ ولكنه وجدها فرصة لتصفية الحساب القديم كله بينه وبين الرافعي وصاحبه الذي أغراه على كتابة « على السفود »

وكان الباب الذي نفذ منه العقاد في الطعن على الرافعي ، هو اتهامه في وطنيته ، وإيهام قرائه بأن الرافعي لم يكن لينقده إلا لأنه هو العقاد السياسي الوفدي عدو الحكومة المتسلطة على الناس بالحديد والنار ! وحسبك بها من تهمة حين يقولها العقاد !

إن للعقاد مفاجآت عجيبة في النقد ، تمثل العقاد الكاتب المرن المحتال في أساليب السياسة ، أكثر مما تمثله ناقداً محيطاً يدفع الرأي بالرأي والبرهان بالبرهان :

وقرأت مقالة العقاد في الرد على الرافعي ، فوجدت أسلوباً في الرد لم أكن أنتظره ، يؤلم ولا يفحم ، ويقابل الجرح بالجرح لا بالعلاج . فما فرغت من قراءة المقال حتى تمثل لي الرافعي مربّد الوجه من غيظ وغضب ، مزبد الشدقين من حنق وانفعال ؛ فسرني أن أسعى إليه قبل ميعادي لأراه في غيظه وحنقه وانفعاله ، فانتهزت ساعة فراغ في الظهر ، فمضيت إليه في (المحكمة) ؛ فما كاد يراني مقبلا عليه حتى هتف بي وهو يبتسم ابتسامة المسرور ثم قال : « أقرأت مقالة العقاد ؟ » قلت : « نعم » قال : « فماذا رأيت فيها ؟ » قلت : « لقد كان شديداً مؤلماً ! » فضحك وقال : « والله ما رأيت كاليوم ! لقد ضحكت حتى وجعني قلبي من شدة الضحك ... إنه لم يكتب شيئاً ، ولم يرد على شيء ؛ إن سبابه وشتمه لن يجعله عند القراء شاعراً كما يشتهي أن يكون ، وإن حسب أنه به يكسب المعركة . لقد حق عليه ما قلت فيه ، وإنه ليعترف . إن فراره من الرد إلى السباب والشتيمة ليس إلا اعترافاً بالعجز ... »

قلت : « إذن فأنت لا تنوي الرد ؟ »

قال : « وأي شيء تراه يستحق الرد فيما كتب ؟ »

قلت : « ولكن القراء لن يفهموا سكوتك على وجهه ، ولن يسموه إلا انسحاباً من المعركة ... ! أفترضى أن يقال عنك ... ؟ »

وبدا على الرافعي كأنه اقتنع ، وهاجته كلماتي مرة أخرى إلى النضال . ومعذرة ثانية إلى الأستاذ العقاد !

إن معركة تدور رحاها بين العقاد والرافعي جديرة بأن

يحتفل لها الأدباء وأن تنال من اهتمامهم أوفى نصيب ، وإن لهم فيها لمتاعاً ولذة وفائدة . وما كان لى أن أقنع وقد هجت هذه المعركة بما فيها من متاع ولذة وفائدة بأن تنتهي من أول شوط ! »

وقال لى الرافعى : « فهل توافيني الليلة لأملى عليك ؟ »

فواعدته وذهبت إليه فى المساء ، فأملى علىّ فصلا من نسخته الخاصة لكليلة ودمنة ، بعنوان « الثور والجزار والسكين ! » ثم أتمه مقالا فى الرد على العقاد . وكان فصلا قاسياً عنيفاً ، ليس من مذهب المقال الأول ولا نهجه ، إذ لم يكن المقصود به النقد وحسب ، بل الرد والسخرية والإيلام ، ثم قطع السبيل وتدعيم الدليل وتقرير المعنى فيما قدّم من مواضع النقد

ثم رد العقاد ليعلن انسحابه من المعركة ، شاكراً الذين أيدوه ، معتذراً عن عدم الاستمرار فى مناقشة دعوى الرافعى ! واستمر الرافعى يكتب حتى فرغ ...

وكان النصر للرافعي عند طائفة ، ولكنه خسر عطف الآلاف من أصدقاء العقاد الكاتب الوطني الكبير ، إذ لم يروا عداوة الرافعى له فى الأدب إلا دسيسة سياسية من خصوم العقاد !

* * *

وانتهت المعركة الأخيرة بين الرافعى والعقاد ، ولكن الرافعى لم يقتنع بما نال من النصر عند الصفوة من القراء الذين يفرقون بين الأدب والسياسة ، إذ كان على يقين أنه وإن كانت له الغلبة ، قد خسر أكثر الطائفتين من قرائه لأنهم على مذهب العقاد السياسى ، فظل مغيظاً محنقاً إلى حين ...

ومضت سنتان ، وتقلبت السياسة المصرية من تقلباتها ، فاذا العقاد الذى كان كاتب الوفد الأول ، خارج على الوفد ، يطعن عليه وعلى رئيسه ؛ وأنصار الوفد ما يزالون إلى يومئذ أكثر الأمة ... ووجد الرافعى فرصة سانحة لينتقم ، وليستخدم السياسة فى النّيل من خصمه فى الأدب ، فيكيل له صاعاً بصاع ، ويحاربه بمثل سلاحه ؛ فكتب مقالاً بغير توقيع فى كوكب الشرق ، جريدة الوفد ، بعنوان : « أحمق الدولة ! » وكان مقالا له رنين وصدى ...

ونشر فى (الرسالة) يومئذ كلمات تحت عنوان « كلمة وكليمة » عرّض فيها بالعقاد الخارج على الوفد تعريضاً أليماً يؤذيه ، لم ينتبه له إلا القليل

وكان مقاله عن العقاد فى كوكب الشرق ، وكلماته فى الرسالة سبباً فى أن يدعوه الأستاذ توفيق دياب ليحرر فى الجهاد بأجر كبير ؛ ولكن لم يتم بينهما اتفاق

ولم تكن تسنح للرافعي سانحة لغيظ العقاد إلا انتهزها ، فما كتب الرافعى عن شاعر من الشعراء بعد ذلك إلا حمل نصف كلامه تعريضاً بشعر العقاد . ومن ذلك ما كتب عن الشاعر المهندس على محمود طه فى القطم ، وما نشره عن الشاعر محمود أبو الوفا فى الرسالة ، ومقالته « بعد شوق » معروفة لقراء الرسالة عامة ؛ وكلها تعريض بشعر العقاد الذى نحله الدكتور طه حسين إمارة الشعر فى يوم من الأيام بعد شوقى !

* * *

والعداوة بين الرافعى والعقاد من العداوات المشهورة بين أدباء الجيل ، ولها أثر أى أثر فيما أنتج كل من الأديبين الكبيرين فى أدب الوصف ؛ ولا تدانى هذه العداوة فى الشهرة إلا العداوة بين الرافعى وطه حسين

وأحسب أنه كان فى الإمكان أن يجتمع العقاد والرافعى فى تحرير الرسالة لولا ما كان بينهما من خلاف وعداوة . قال لى الأستاذ الزيات مرة منذ عامين : « وددت لو يكتب العقاد فى الرسالة ! ولكنما يمنعنى من دعوته إلى ذلك أننى لا أستطيع أن أنشر له وللرافعى فى عدد واحد ! »

قلت : « فما يمنع ؟ »

قال : « أنت تعرف أخلاق الرافعى ، وأنا أعرف أخلاق العقاد ، وإن لكل منهما اعتداداً بنفسه بإزاء صاحبه ، فأى المقالين أقدم وأيهما أؤخر فى ترتيب النشر ؟ إن تقديم مقال على مقال ليس شيئاً ذا بال ، ولكنه بين الرافعى والعقاد له شأن أى شأن ! »

وظل الأستاذ الزيات معنياً بهذا الأمر ، حريصاً على أن يجمع بين الأديبين الكبيرين فى مجلته ، وهو يلتمس السبيل إلى ذلك فلا يوفق ، حتى مات الرافعى فانحلت المشكلة ؛ ودخل العقاد ، ولكن بعد ما خرج الرافعى !

رحم الله الراحل ، ونفع بالباقى !

محمد سعيد العريان

عبقرية الشريف الرضى

للدكتور زكى مبارك

« قبل نهاية هذا الشهر يصدر فى بغداد كتاب في جزأين للدكتور زكي مبارك . وهذه فاتحة ذلك الكتاب ، وهى تشرح مذهب المؤلف فى دراسة الأدب العربى وطريقته فى التأليف »

أما بعد فهذا كتاب « عبقرية الشريف الرضى » وما أقول إنى شغلت به نفسى سنة كما قلت يوم أخرجت شرح « الرسالة العذراء » ، ولا سبع سنين كما قلت يوم أخرجت كتاب « النثر الفنى » ، ولا تسع سنين كما سأقول بإذن الله يوم أخرج كتاب « التصوف الإسلامى »

فما شغلت نفسى بكتابى هذا غير خمسة أشهر . ولكنها من أشهر بغداد لا أشهر القاهرة ولا باريس . وما كان لى فى بغداد لهو ولا فتون ، فكانت الليلة فى بغداد كليلة القدر ، خير من ألف شهر ، والتوفيق من أشرف الأرزاق

وكتابى هذا هو مجموعة المحاضرات التى ألقيتها فى قاعة كلية الحقوق ، وكانت تلك المحاضرات من أشهر المواسم فى حياتى ، فقد كان أصدقائى يخشون أن يمل الجمهور بعد أسبوع أو أسبوعين ، ولكن الجمهور كان يزداد إقباله من أسبوع إلى أسبوع ، ولم ينقذنى منه غير التصريح بأنى أنفقت كل ما كنت أملك ، ولم يبق إلا أن أستريح !

ومحاضراتى بكلية الحقوق فى بغداد هى الموسم الثانى بعد محاضراتى عن « المدائح النبوية » وهى المحاضرات التى ألقيتها باسم الجامعة المصرية فى قاعة الجمعية الجغرافية بالقاهرة ، فهل يتسع العمر لموسم ثالث فى القاهرة أو فى بغداد ؟

لا تسألونى كيف ظلمت نفسى فأعددت هذه المحاضرات وأنشأت معها مقالات كثيرة جداً نشرتها صحف مصر ولبنان والعراق ورججت الحياة الأدبية فى بغداد رجاً عنيفاً ، فذلك كان أقل ما يجب أن أصنع فى مقابل الثقة التى شرفتنى بها حكومة العراق ؛ وذلك كان أقل ما يجب أن أصنع لأحفظ لنفسى مكاناً بين الأساتذة المصريين الذين تشرفوا بخدمة العراق من أمثال محمد عبد العزيز واحمد حسن الزيات والسنهورى وعبد الوهاب عزام ومحمود عزمى ؛ وذلك كان أقل ما يجب أن أصنع فى خدمة تلاميذى وتلميذاتى فى بغداد ، وقد رأيت فى وجوههم وجوه أبنائى وبناتى فكلفت نفسى فى خدمتهم فوق ما أطيق

لا تسألونى كيف ظلمت نفسى فأنفقت من العافية ما أنفقت؟ فقد ساءنى أن أعرف أن « دار المعلمين العالية » لها فى بغداد تاريخ ، فكانت تفتح ثم تغلق ، وتفتح ثم تغلق ، فاستعنت الله وانتفعت بعطف معالى وزير المعارف الأستاذ محمد رضا الشبيبى وأريحية الأستاذ طه الراوى ومودة الدكتور فاضل جمالى ، وعولت على همة زميلى وصديقى الدكتور متى عقراوى ، وأقمنا للدار المعلمين العالية أساساً من متين التقاليد الجامعية ، فأغنينا مكتبتها بالمؤلفات القديمة والحديثة وعلمنا طلابها كيف يبحثون ويراجعون ، وغرسنا فيهم الشوق إلى التحقيق والاستقصاء

ورأيت أن يكون من تقاليد هذا المعهد العالى أن يخرج فى كل سنة كتاباً عن شاعر أو أديب أو مفكر لم يدرسه أحد من قبل ، فألفت كتابى هذا عن الشريف الرضى . فإن ترفقت شواغلى بمصر وأذنت لى بالرجوع إلى بغداد فسأخرج فى كل سنة كتاباً جديداً . وإن أبت تلك الشواغل أن أتمتع مرة ثانية بالاستصباح بظلام الليل فى بغداد فسيذكر من يخلفنى أنى طوقت عنقه بطوق من حديد ، وأن لا مفر له من أن يشقى فى سبيل « دار المعلمين العالية » كما شقيت

وإنما نصصت على هذه المعانى فى مقدمة هذا الكتاب لأجتدي العطف على « دار المعلمين العالية » . وممن أجتديه ؟ من حكومة العراق ، فلا يجوز أن يغلق هذا المعهد ، وإنما يجب أن تبذل الجهود ليصبح منافساً قوياً لكلية الآداب بالجامعة المصرية

قد يقول قوم من خلق الله : ولماذا ابتدأت بالشريف الرضى !

إن قالوا ذلك فالجواب عند الأستاذ عباس محمود العقاد ، فهو يذكر جيداً أننى قلت له يوم أخرج كتابه عن ابن الرومى : كان الأفضل يا أستاذ أن تنفق هذا الجهد فى دراسة أشعر الشريف الرضى

إن قالوا ذلك فالجواب عند الأستاذ الدكتور طه حسين ، فهو يذكر جيداً أنى نبهته إلى أن الاهتمام بدراسة شعر الشريف الرضى كان أولى من الاهتمام بدراسة شعراء القرن الثالث

إن قالوا ذلك فالجواب عند نادى الموظفين بالقاهرة فقد طلب فى سنة ١٩٣٢ أن ألقى محاضرة عن أعظم شاعر فى اللغة العربية فكانت محاضرتى عن الشريف الرضى

ابتدأت بالشريف الرضى على غير موعد ، فقد رأيتنى فجأة بين دجلة والفرات ، فتذكرت أن قد جاء الأوان لدراسة هذا الشاعر الذى تعصبت له منذ أعوام طوال

ويشهد الله وهو خير الحاكمين أنى لم أفكر فى إنصاف الشريف الرضى إلا يوم قدم لى الدكتور شريف عسيران نسخة من كتاب الأستاذ المقدسى عن أمراء الشعر فى العصر العباسى ، فأزعجنى أن يهتم بابن المعتز وينسي الشريف الرضي ، مع أن ديوان ابن المعتز لا يساوى قصيدة واحدة من قصائد الشريف

فمن شاء له هواه أن يزعم أن لى غاية فى التعصب للشريف الرضى فليتق الله فى نفسه ، وليذكر أن الدكتور زكى مبارك لو كان أنفق نشاطه في الاتجار بالتراب لأصبح من كبار الأغنياء ، ولكنه بلا أسف سيموت فقيراً لأنه أنفق نشاطه فى خدمة الأدب العربى

والأدب العربى خليق بأن يكون له شهداء ، وأنا فى طليعة أولئك الشهداء

سيرى قراء هذا الكتاب أننى جعلت الشريف أفحل شاعر عرفته اللغة العربية ، وقد سمع بذلك ناس فذهبوا يقولون فى جرائد بغداد : أيكون الشريف أشعر من المتنبى ؟

وأستطيع أن أجيب بأن الشريف فى كتابى أشعر من المتنبى فى أى كتاب . لن يكون المتنبى أشعر من الشريف إلا يوم أؤلف عنه كتاباً مثل هذا الكتاب . والقول الفصل فى هذه القضية أن المتنبى فى بابه أشعر من الشريف ، والشريف فى بابه أشعر من المتنبى ، وكل عبقرى هو فى ذاته أعظم الناس لأن ميدانه لا يجاريه فيه أحد سواه ، والشريف بهذا المعنى أفحل الشعراء لأنه جرى فى ميادين سيظل فارسها السباق على مدى الأجيال

وما الذى يضر أنصار المتنبي حين أقدّم عليه الشريف ؟

هل فيهم من يحفظ ديوان المتنبي كما أحفظ ديوان المتنبى ؟

إن سجلات كلية الآداب بالجامعة المصرية تشهد بأنني كنت أول من دعا إلى الاحتفال بمرور ألف سنة على وفاة المتنبي ، ولى على ذلك شهود منهم الشيخ السكندرى والأستاذ عباس محمود والدكتور منصور فهمى

وما الذى يضر أهل العراق من أن أهتمّ بشاعر لا يعرف العراقيون موضع قبره على التحقيق ؟ أليس من العجائب أن يعرف العراقيون قبر معروف الكرخى ويجهلوا قبر الشريف الرضى ؟

إن هذا هو الشاهد على أن العوام أحفظ للجميل من الخواص !

إن كان خصومى فى بغداد دهشوا من أن أتعصب لشاعر رضى عنه ناس وغضب عليه ناس فليذكروا أننى كنت كذلك طول حياتي فوضعت بالنقد قوماً ورفعت آخرين ، وفقاً للحق لا طوعاً للأهواء

وأنا والله راض بأن يغضب عليّ أهل بغداد ، فقد غضبوا على أبى طالب المكي فنحوه الخلود

أنا أحب الخصومات لأنها تذكي عزيمتى ، ومن أجل هذا أنظر نظر الجزع إلى مصير خصوماتى فى بغداد ، فلن يكون لي فى بغداد خصوم بعد ظهور هذا الكتاب ؛ وإنه لقادر على أن يفجر العطف فى القلوب المنحوتة من الجلاميد . سيذكر أدباء بغداد أننى أحببت شاعراً هو من ثروة العروبة وثروة العراق . سيذكر أدباء بغداد أننى وفيت لمدينتهم السحرية حين اهتممت بشاعر كان أصدق من عرف النعيم والبؤس فوق ثرى بغداد

وكتابى هذا تطبيق لما شرعت من قواعد النقد الأدبى ، تلك القواعد التى أذعتها فى كتاب (الموازنه بين الشعراء) ، وهو من أجل هذا لون جديد فى اللغة العربية . وسيكون له تأثير شديد فى توجيه الدراسات الأدبيـة ، وقد يصلح ما أفسد الزمان من عقول الباحثين

وبيـان ذلك أنى لم أقف من الشاعر الذى أدرسه موقف الأستاذ من التلميذ كما يفعل المتحذلقون ، وإنما وقفت منه موقف الصديق من الصديق . والتشابه بينى وبين الشريف الرضى عظيم جداً ؛ ولو خرج من قبره لعانقنى معانقة الشقيق للشقيق ، فقد عانى فى حياته ما عانيت في حياتى : كافح فى سبيل المجد ما كافح وجهله قومه وزمانه ، وكافحت فى سبيل المجد ما كافحت وجهلنى قومى وزمانى

وهذا الترفق فى معاملة الشريف ليس نزوة شخصية ، وإنما هو وثبة علمية ، فما كان يمكن أن أكون وفياً للبحث إلا إن سايرت الشاعر الذي أعرض عقله وروحه على تلاميذى . وهذه هي المزية التى أتفرد بها بين أساتذة الأدب العربى

سايرت الشريف مسايرة الصديق للصديق : فإن آمن آمنت ، وإن كفر كفرت . إن جدّ الشريف جددت ، وإن لعب لعبت . إن عقل الشريف عقلت ، وإن جن جننت . إن قال الشريف إن غاية الرجل العظيم هى الحرب ، قلت : صدقت . وإن قال : إن الحياة هى الحب ، قلت : والحب الحياة !

ولكنى مع هذا عاملته معاملة الصديق الأمين فنبهته إلى عيوبه بتلطف وترفق ؛ نبهته تنبيهاً دقيقاً جداً لا يفطن إليه إلا الأذكياء ، وفى بنى آدم أذكياء . نبهته إلى عيوبه أكثر من ستين مرة ؛ وما أظنه يحقد علىّ ، لأن الصديق الذى فى مثل حالى تغفر له جميع الذنوب

والشواهد فى هذا الكتاب كثيرة جداً ؛ وذلك هو أسلوبى فى البحث ، فأنا أشغل القارئ بالشاعر الذى أدرسه أكثر مما أشغله بنفسى ، وهذه إشارة أرجو أن ينتفع بها المتحذلقون

اعتمدت على طبعة بيروت وصححت ما صادفنى فيها من أغلاط ، وشرحت ما يجب شرحه من الأشعار خدمة للقارئ الجاحد الذى لا يفهم قيمة الوقت الذى ينفقه الشارح فى تحديد المعانى ؛ وصححت الكتاب كله بنفسى تصحيحاً دقيقاً . فإن رأى فيه القارئ أغلاطاً فذلك ذنب العجلة لا ذنبى . وأدخلت فنوناً من الذوق على الطباعة فى بغداد سيذكرها أصحاب المطابع

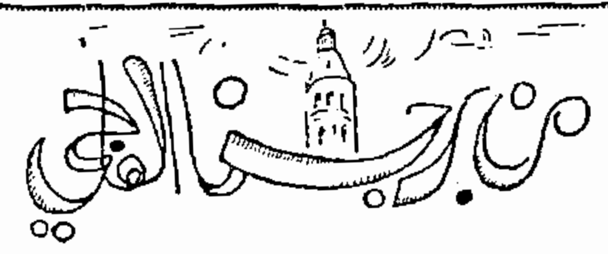
بغداد !

هذا كتابى ، أقدمه بيمينى فى تهيب واستحياء ؛ فإن رضيت عنه فذلك لطف ورفق ، وإن غضبت عليه فلست أول حسناء تجحد الجميل

اصنعى فى ودادى من التنكر والتقلب ما شاء لك الدلال . أما أنا فأشهد أنك صنعت بقلبى وعقلى ما عجزت عنه القاهرة وباريس !

أنت مظلومة يا بغداد ، وأنا مظلوم يا بغداد ؛ والظلم يجمع بين القلوب ، نصرك الله ونصرنى ، ورعاك ورعانى ، إنه سميع مجيب . وعليك منى السلام .

زكى مبارك



سألنى الأستاذ أحمد أمين من أيام عن فكرة غريبة قال إنها جالت بخاطره ؛ وخاطره هذا كنز لا يفنى من الأفكار الغريبة . قال :

« ترى ماذا يفعل الانسان إذا علم أنه سيموت بعد عام ؟ »

فقلت له : الجواب يتوقف على معرفة نوع هذا الانسان وطبيعته وعلمه

فقال : « أنا وأنت مثلاً . ماذا كنا نصنع ؟ »

فأجبته على الفور :

أنا وأنت ؟ كنا نكب فى الحال على التأليف والكتابة ليل نهار . فقال فى دهشة :

— كنت أحسبك تقول العكس ، وترى أن قرب الموت قد يجعلنا نطلق العمل ونفزع إلى حياة اللهو والمتعة ، أو على الأقل حياة الهدوء والراحة

— نحن يا صديقى نفعل ما يفعله كل أب بار . فما الذى يصنعه الأب البار بأبنائه حينما يدنو منه الموت ؟ ألا يتمنى أن يتركهم وقد اكتمل نضجهم ؟ ألا يفكر ليل نهار فى إتمام تربية هذه الأكباد حتى تقوى على المشي فوق الأرض ؟ وأنا وأنت لسنا أكثر من آباء ، لنا أكباد تمشي لا على الأرض ... لكن على الورق ....فكيف نموت وفى خزائن أحدنا صفحات من كتاب لم يكتمل فى « ضحى الإسلام » أو فى « النقد الأدبى » ، وعلى مكتب الآخر قصص تعج بأشخاص نصف أحياء يطالبون بحقهم فى الحياة ، ويمسكون بتلابيب « مؤلفهم » لا يدعونه يموت قبل أن ينفخ فيهم بعض الروح ؟ إنه ليخيل إلىّ أحياناً أن حياتنا متصلة بحياة إنتاجنا ، وإن فى أعماق كل « خلاّق » شبه غريزة داخلية تدفعه إلى الانتاج البطىء أو السريع طبقاً لطول حياته أو قصرها . إنا قد بعنا أنفسنا لشيطان « التأليف » ، ولن يتركنا هذا « الشيطان » فى راحة إلا عندما نلفظ النفس الأخير ؟

توفيق الحكيم

المخـــــــترعات
وكتاب الفصول والغايات
لباحث كبير

(اللزوميات) هي عبقرية المعرى[1] في النظم ، و (الفصول والغايات) هي عبقريته في النثر . والعبقريتان في أكثر المقاصد والمرامى تلتقيان . وفي هذه العبقرية (المعجزة الأحمدية) يقول أبو العلاء :

« إن شاء الملك قرب النازح وطواه ، حتى يطوف الرجل في الليلة الدانية بياض الشفق من حمرة الفجر ، طوفه بالكعبة حول قاف ، ثم يؤوب إلى فراشه والليلُ ما همّت بالإسحار ، ويسلم بمكة فيسمعه أخوه بالشام ، ويأخذ الجمرة من تهامة[2] فيوقد بها ناره في يبرين[3] وقاصية الرمال »

وقد شاء الله أن يكون في هذا الزمان كل ذلك ، فإن المرء ليسرى[4] من (الاسكندرية) طائراً إلى (قاف) سلع ، الجبل في المدينة (يثرب) ؛ ثم يؤوب ويأوى في فراشه والليـل ما همت بالإسحار ، وطوفه حول (قاف) القصاصين و (قاف) بعض الفسر ن — أى حول الكرة الأرضية — في يوم أو ليلة هو في الغد ، و « مهما تعش تره[5] »

وإن المصلى (أو غير المصلى) ليسلم في مكة فيسمعه أخوه في (سان فرنسيسكو) وأخوه الذى هو في (طوكيو) ، ويسمعه كل صاحب (مِصْوان[6]) في الأرض

(١) احمد بن عبد الله بن سليمان ، وفي مقـدمة (القاموس) ومقالة (شق وسطيح) في الجزء الماضي من الرسالة : احمد بن سليمان ، وسليمان جده

(٢) تهامة : مكة ، وبلاد شمالي الحجاز

(٣) يبرين من أصقاع البحرين ، ويبرين قرية من قرى حلب (معجم البلدان)

(٤) سرى وأسرى لغتان (الكشاف) وكلاهما في (الكتاب)

(٥) مهما حرف في الشرط بمنزلة ما ، والهاء في تره للسكت ومفعول تر محذوف والتقدير : ما تعش تر أشياء عجيبـة ، أى ما دمت تعيش ترى شيئاً عجيباً (الميدانى)

(٦) وضعت (المصوان) لأداة الراديو وأنا أكتب هذه الكلمة عجلا ، وقد يجلب البحث والتفكير أحسن منها

وإن مركونى — وهو في سفينته في ميناء في إيطالية — قد أضاء بشرارة — لا بجمرة — مدينة (سدنى) في استرالية

هي العبقرية وهم العبقريون يقذفون بالقول فيفسره الدهر بعد أحقاب أو يحققه

وقد شاء الله (جلت قدرته) أن يجىء في هذا الزمان ماتخيله أبو العلاء في وقته

وقد شاء الله (عظمت منته) أن يظهر اليوم هذا الكنز العظيم : كتاب (الفصول والغايات) المكتنز بالفوائد ، محققاً مضبوطاً مشكولاً مشروحاً يشرح الصدر ، ويسر العين ، ويبهج القلب ، وينور العقل

وهذا القول في هذا الكتاب حق كله ، ولم يُهده مُهدٍ إلى فيقول الإهداء : هات الثناء . بل افتلذت ، اقتطمت ثمنه (والله) من عيشى[1] ، ومن قوتى ، وكنت لعقلى وروحى من المحسنين . وفي سبيل أبي العلاء والعلم الصومُ ووهنُ الجسم

(الاسكندرية) (* * *)

(١) قال الزمخشرى : أهل الحجاز يسمون الطعام عيشاً .

فلســـفة التربية

تطبيقات على التربية فى مصر

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٤ —

« إذا لم تكن البطالة ناشئة عن نقص فى الشخص نفسه ، فهى ناجمة من غير شك عن خطأ فى روح تعليمه !! » (١)

« إن من يأنف اليوم من حمل الفأس ومن تلويث يديه بالطين لن يصلح غداً لاصلاح أمره إذا ما ضاقت به الحياة وقسا عليه القدر ! »

« لقد أفقدناهم الحماس والأسفاه ، وجعلناهم يقبلون على العلم بخمود دائب ، وتعجر متواصل ، وبطء شديد ! »

« من رسالة الدكتور جاكسن »

٤ — المتعلمون العاطلون

تبينت فى المقال السابق بعض نواحى الضعف فى التعليم الالزامى وبعض وجوه الاصلاح ، وسترى اليوم ناحيــة أخرى جديرة بالدرس والعلاج نظراً لمــا فيها من خطر شديد على كيان المجتمع القائم حاضره ومستقبله :

١ — العاطلون

أترى أولئك المتعلمين العاطلين ؟ أتسمع عن جيوشهم فى كل مدينة من مدن القطر ؟ أتلاحظ حقدهم على كل حكومة لم تسلكهم فى سلك الموظفين المجدودين ؟ أتتبين تقاعدهم وتسكعهم وعجزهم عن المجاهدة فى الحياة إزاء الأجنبى الدخيل ؟ ثم نفورهم كبراً وتيهاً من أعمال البيع والشراء وغير البيع والشراء ، مما يظنون أنهم لم يخلقوا له فى كثير ولا قليل ؟

ذلك هو المشكل الذى نبسطه اليوم ونعالجه على ضوء التربية والتعليم ! والذى ينبغى على الدولة أن توليه من عنايتها نصيباً موفوراً نظراً لأن أولئك المتعلمين العاطلين خير تربة صالحة لانماء المبادئ والأفكار التى فيها كل الخطر كل الخطر على كيان المجتمع نفسه حكومة وشعباً !

ترى مم نجمت هذه البطالة ؟ ومن هو المسئول عنها ؟ أفى البلد أزمة اقتصادية عنيفة فهم لا يجدون فيها عيشا ؟ وما بال أولئك « الأجانب » يملأون المتاجر والمصارف ويقومون بمختلف المشروعات وينجحون فيها كل النجاح ؟ ألست ترى إلى الرومى أو غيره يدخل البلد فقيراً معدماً ثم يغدو بعــد سنين صاحب متجر عظيم ومُلك أعظم ؟ إن الخير فى هذا البلد كثير ، والعيش يسير ، ولكن العيب والأسفاه فى المتعلم نفسه وما قد طُبع عليه من كره للعمل والعاملين ، وعشق « للديوان » الثابت والراتب المضمون !! ولذلك يقول الدكتور « جاكسون » : إن الخطأ إنما يقوم فى روح التربية المطاة وما يوحيه من أن المدرســة تأخذ بالأيدى من « الطين » حيث الجهد والنصب ، إلى « المكتب » حيث الراحة والكلام !! ألست تسمع أنشودة « الوظيفة » من أمك وأبيك وأقاربك وذويك ؟ ألست ترى « للموظف » قدراً فى المجتمع دونه قدر التاجر أو الصانع أو الفلاح ؟ ألست ترى طابع « الحكومة » يميز حامليه ويملأهم عجباً وتيهاً وزهواً وفخرا ؟ ألست ترى حولك كثيرين ممن يرون فى « العمل » حطة لهم ولعائلاتهم مع أنه قد يكون السبيل الوحيد لمعاشهم ؟ وأخيراً ألست تشاهد المئات من خريجى المدارس الزراعية والتجارية والصناعية يتكالبون على الوظائف الفنية وغير الفنية ، مع أن الدولة قد أنفقت عليهم الألوف لتجعل منهم طبقة فنية راقيــة تأخذ بيد مرافق البلد الاقتصادية وترقيها ، وتحررها من قيود الجهل والتقاليد ، وتطبعها بالطابع القوى المنشود ؟ (١)

(١) هذا إذا نحينا الأزمات الاقتصادية جانبا ...

٢ — العلاج

تلك إذاً هى « الفكرة الخاطئة » التى يجب أن نمحوها محواً بمختلف أساليب التربية والاقتصاد ، لأن التربية لا تستطيع

(١) والعجيب أن العشرات من هؤلاء الفنيين ممن يدخلون الحكومة لا يلتحقون بأعمال تتفق وثقافتهم ! فكثير منهم كتاب لا أكثر ولا أقل ، وكثير غير هؤلاء يعملون فى أعمال تخالف أعمالهم الفنية الخاصة مخالفة كبيرة أو صغيرة . ومنهم من لا يتاح له استعمال ثقافته إلا فى ناحية ضيقة محصورة كمعاونى الزراعة الذين يبخرون الأشجار فحسب ، أو ينبهون الحكومة إلى دود القطن ... ! ومعنى ذلك أننا ننفق الالوف المؤلفة فى بناء المدارس الفنية وفى تعليم المئات دون أن نعمل على استغلال هذه الثقافة الفنية الواسعة إلى أبعد حدودها ... أنست ترى هــذا عجبا ؟ أعرف أحد خريجى المدارس الصناعية الذين يئسوا من الوظيفة فنصحه البعض أن يؤسس مصنعا للسبك فأســه بالفعل ونجح فيه نجاحا مبشراً بكل فوز ، ولكنى حين أسأله عن رأيه فى الوظيفة أسمع منه ميلا شديداً إلى ترك المصنع والالتحاق بها ... !

وحدها أن تصلح كل شئ . يجب أن يحسن الأسواق القائمة ، وأن نفتح أسواقاً جديدة ، وأن نعمل كما يقول الأستاذ جاكسون على زيادة « الطلب » ليرتفع أجر العامل وبغريه بالعمل وترك الحكومة ، كما يجب كذلك أن نجعل مدارسنا الفنية مسلحة بكل تجديد كهربائي أو ميكانيكي لتستطيع أن تواجه حاجات العصر ، وأن تصمد لمنافسة المحمولات الرخيصة التي تطرنا بها أوربا وأمريكا واليابان ، وأن نحول مدارسنا الالزامية والابتدائية والثانوية إلى نظام آخر يسمح بكثير من « العمل » اليدوي مادام العاطلون من خريجي هذه المدارس أكثر عدداً وأفدح خطراً من خريجي المدارس الفنية . أفي المدارس الالزامية « عمل » بالمعنى الساذج البسيط ؟ وهل في المدارس الابتدائية غير ساعتين للعمل في الأسبوع منفصلتين تماماً في « عملهما » عن المواد الأخرى ؟ وهل يعدو « العمل » في التعليم الثانوي « اللهو والفراغ » عند أغلبية الطلبة الساحقة ؟؟

٣ — الصعوبة القائمة

وهناك فضلاً عن ذلك صعوبة كبرى هي قبول المدارس الثانوية لعدد عظيم من الطلبة لا تستطيع أن تقبله فيما بعد الجامعة والمدارس العالية لأنها لا تتسع له . ويقول بعض حضرات النظار إن حوالى ٣٠٪ من طلبة البكالوريا يقعون في هذا الشكل ، ويمضون حياتهم في يأس وقنوط وألم وشقاء . وإذاً فإما أن ينقص عدد الملتحقين بالمدارس الثانوية حتى يستطيعوا أن يجدوا لهم منفذاً في التعليم العالى ، وإما أن يصبح التعليم الثانوي نفسه غاية ووسيلة معاً لا وسيلة تمد الناشئ للجامعة فحسب . والحل الثاني أليق بمصر ، لأن خمسا وعشرين مدرسة ثانوية للبنين ، وسبعا أخرى للبنات ، ليس بالعدد الكثير على بلد سكانه خمسة عشر مليوناً ! ! وإذاً فلننظر فيما ينبغي أن يكون عليه هذا التعليم :

٤ — الإصلاح المنشود

ينبغي أولاً أن يسود فيه الشعور بأنه إعداد للحياة لا للدراسة العليا فحسب . ويتأتى ذلك فيما يرى الدكتور جاكسن بوضع أساس عملي لا يجنى على « كيف » التعليم فيه ، وذلك بأن ندخل فيه الزراعة والطباعة وأشغال الخشب والحديد على نحو « جدى »

مع تعديل المقرر أو بالأحرى تخفيفه تخفيفاً مناسباً . فمثلاً في السنتين الأولى والثانية : عشرون درساً للغات من أربعة وثلاثين ، ودرس رسم واحد ، ودرس أشغال لا يقوم به إلا قلائل لا يفيدون . فماذا يمنع من استعمال اللغة في تجارة عملية بدلا من قصرها على هذه الحصص الكثيرة التي لا تؤدى بالطالب بعد تسع سنوات إلى القدرة على كتابة خطاب تجارى صحيح النحو مستقيم المعنى؟[1] وماذا يحول بين الطلبة وبين جمعهم لحروف مجلتهم وطبعهم لها بأنفسهم ؟؟ ولم لا يزرع الطلبة حديقة المدرسة ويسهرون على تهذيب أغصانها وإروائها بدلا من رجل واحد تعينه المدرسة لهذا الشأن ؟ وكيف يتكلم المدرس عن الذباب وخطره والمدرسة ذاتها لا تعمل على منعه من دخول الفصل ؟؟

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يجب أن يعنى التعليم بغرس الروح الاجتماعية عن طريق « دراسة المشروعات » والجمعيات العلمية والرياضية والفنية التي تسودها روح التعاون والمحبة والتضحية واحترام القانون[2] ، ويجب أن يتاح المدرس من الوقت ما يساعده على الاشراف التام على أعمال هذه الجمعيات و « العيش » فيها كمرشد حكيم ؛ هذا مع غرس السرعة والابتكار والذوق في نفوس الطلبة تلبية لحاجات « رجال الأعمال » الذين يريدون كل حاضر البديهة ، حكيم التصرف ، جميل الذوق وديع المحضر ، مطيعاً للقانون :

٥ — التوجيه المهني

ثم لا ينبغي أن يقف الأمر عند ذلك . إن مصر لفي حاجة كبرى إلى توجيه أبنائها توجيهاً سليماً يتفق وميولهم النفسية ، ويضمن على الأقل نجاحهم في عملهم وتفانيهم إن لم تقل نبوغهم فيها . والشبان عندنا لا يطرقون أبواب المدارس المختلفة جرياً وراء إشباع ميولهم الشخصية بقدر ما يطرقونها تحقيقاً لمطامعهم القاصرة في مهن محترمة كالقضاء أو الطب أو المحاماة ! أليس عندنا من يدخل الحقوق ليكون نائباً أو وزيراً ، ثم يفشل أخيراً في

(١) وهم يدخلون في أمريكا الكتابة على الآلة مع دراسة اللغة نحواً وهجاء فيقومون بثلاث عمليات في عملية واحدة

(٢) وفي المدارس أساليب من هذا النشاط كثيرة ، ولكن ما يزال ينقصها الروح الاجتماعي الصحيح بحيث تكاد تكون قشوراً أكثر منها لباً

موقفه أمام القاضي ويخاطبه كما يخاطب التلميذ الأستاذ؟[1] أليس عندنا من يدرس الفلسفة ليدعى فيلسوفاً، ثم لا يكون بينه وبين الفلسفة الصحيحة إلا هوة سحيقة من الجهل والاعوجاج؟ كم من مئات الحقوقيين قد أثبت له قدراً في عالم القانون؟ وكم من خريجي التجارة أو الهندسة قد سجل لبلاده فخراً في مجال دراسته الخاصة؟ إنها إذاً لآفة كبرى يجب علاجها علاجاً علمياً صحيحاً يتحصر فيما يسمي الآن «بالتوجيه المهني!» ويستطيع الأستاذ في ذلك التوجيه أن يدرس ميول الطالب الحقيقية لا الوهمية أو المصطنعة، وأن يقدم له النصح والإرشاد على أساس هذه الدراسة يستطيع أن يختبر ذكاءه وميله الأدبي أو الفني أو العلمي باختبارات خاصة يجرونها الآن في أوربا وأمريكا؛ ويستطيع أن يلاحظه ويدرسه عن كثب طيلة أعوام الدراسة ليضم إلى نتائج هذه الاختبارات درايته الشخصية؛ ويستطيع أن يقول له أخيراً عليك بالآداب أو الحقوق أو الطب أو الصناعة أو التجارة، لأنك لا تليق ولا تنبغ، ولا توفق ولا تسعد، إلا في ذلك الذي دلتني عليه دراستي العلمية وخبرتي الشخصية؛ ثم يستطيع باتصاله بذويه أن يسدي لهم النصح في مستقبل ولدهم حتى لا يقفوا عثرة في السبيل كما أراد لي والدي يوماً أن أدرس «التجارة» وأنا لا أهضم «الحساب» على الاطلاق!، وأخيراً يستطيع الناظر عملا برأي الأساتذة أن يزود تلميذه بخطاب خاص يحمله كشهادة محترمة لرؤساء المعاهد أو الأعمال التي يريد أن يطرقها كيما يكون «واسطته» فيها . . .

وبذلك وبغيره نوجد أعمالا للعاطلين، وتوفيقاً ونبوغاً للمتعلمين! . . .

«يتبع» محمد حسني ظاظا

مدرس الفلسفة بشبرا الثانوية الاميرية

(١) ويرجع جلوس المثقفين عندنا في القاهي وانحرافهم الخلقي إلى أسباب أهمها أن المدرسة لم تحببهم في العلم للعلم، وأنهم لم ينشدوا مهنتهم عن ميل صحيح فيهم، وأنهم يلقون في عملهم اليومي ما ينفرهم من الاشتغال في فراغهم بما يفيد، وهذه الأسباب جديرة بكل إصلاح لأن العمل إذا لم يقم به الانسان وهو محب له كان مصدر شقاء وانحراف لصاحبه، وترجع أغلب أعمال الموظفين الفاشلة إلى هذا النوع من العمل البغيض

إبراهيم بك المويلحي

١٨٤٤ - ١٩٠٦

بقلم حفيده ابراهيم المويلحي

تتمة ما نشر في العدد الماضي

ثم سافر إبراهيم بك إلى باريس سنة ١٨٨٤ م وحرر العدد الرابع من جريدته «الاتحاد» بعد صمت أربع سنوات وطبع منها أعداداً كثيرة، وكانت أشد لهجة من أخواتها فاستشاط السلطان غيظاً وحنق على إبراهيم حتى أنه أرسل إلى «أسعد باشا» سفير الدولة العلية في باريس بمذكرة مستعجلة يريد بها إبلاغ رغبته إلى الخديو إسماعيل بأن يأمر سكرتيره «إبراهيم بك» بالكف نهائياً عن إصدار جريدة «الاتحاد» المحررة تحت رعاية سموه

فلما تفاوض «أسعد باشا» مع الخديو أعلمه بأن لا يد له فيها مطلقاً وأنه بريء من تلك الظنون. فما كان من السفير العثماني إلا أن طلب من الحكومة الفرنسية، بناء على رغبة السلطان، نفي المترجم له من فرنسا

ولما كان هذا النفي غير مسبوق بأي محاكمة فقد انبرى المسيو بود دي مورسلي Baude de Maurceley يدافع عن إبراهيم ويستنكر وقوع مثل هذا الإجراء ويأخذ على وزير الداخلية الفرنسية تسليم إبراهيم لأسعد باشا بهذه السهولة، في مقال نشر في حينه في جريدة «الفيجارو» عدد ٣٣١ سنة ١٨٨٤ م اختتمه بقوله: «إني أسأل بصراحة المسيو ولدك روسو Waldack Rousseau عن الضرر الذي يسببه وجود إبراهيم بك في باريس. — أم هل فقد بلدنا الجمهوري «حق الاقامة» فيه وأضحى غير قادر على منح الضمان الكافي للمحكوم عليهم سياسياً! وإلا فما هو الأمان الذي يمكن أن يجده عندنا كل غريب فقد حق التمتع بمصالح بلده؟ ألا يظن حضرة وزير الداخلية أنه من السذاجة أن تنال بسهولة وبدون محاكمة إبعاد صحفي فرنسي غير راض عن سياستنا الحالية من استانبول أو لندرة مثلاً، لأنه يصدر جريدة عدائية هناك؟!»

إن القبض على إبراهيم بك ونفيه بدون محاكمة لا يعد فقط عملاً استبدادياً ، بل أمراً منكراً ربما استحق الاستجواب عنه فى البرلمان »

فلما رأى إبراهيم بك نفسه مرغماً على ترك فرنسا بأمر السلطان ، سافر تواً إلى « بروكسيل » فكتب إليه السيد جمال الدين الأفغانى لما كان بينهما من روابط الصداقة أيام كانا فى مصر ، يشير عليه بالتوجه إلى لندرة ليتحدا فى الدفاع عن حقوق الأمة ونصرة الدين . فاستصوب إبراهيم هذه الفكرة ولاسيما أنه كان غيوراً على دينه ، شديد الحب لوطنه . فأبحر إلى« لندرة » وتسنى له التعرف هناك باللورد تشرشيل واللورد سالسبورى وأخذ يعاون السيد جمال الدين فى تحرير « العروة الوثقى » وأنشأ لنفسه جريدة « الأنباء » ثم « عين زبيدة » وأفاض فيهما ولاء خالصاً للسلطان ، وأظهر حرصاً على صيانة الدولة بانتقاده الشديد لسياسة غلادستون نحو الدولة العلية فى ذاك الوقت

وبلغ مسامع السلطان عبد الحميد أمر هاتين الجريدتين فسر من خطة إبرهيم هذه وأرسل إليه يستقدمه بواسطة سفيره فى لندرة

ولما كان إبراهيم بك لا يتوقع هذا العفو السريع سنة ١٣٠٣ هـ — ١٨٨٥ م ظن أنها مكيدة من السلطان ليتمكن بها من الانتقام منه ، فامتنع عن الذهاب إليه ، وكلف ابنه السيد محمد بك المويلحى — الذى كان بصحبته فى انجلترا — السفر إلى استانبول ليستطلع جلية الأمر

فتوجه محمد بك إلى الآستانة عن رغبة والده ، وأرسل إليه خطاباً يطمئنه فيه من جهة السلطان

فدخل إبرهيم بك الآستانة وكتب إلى جلالة السلطان الخطاب الآتى يشكره فيه على عفوه عنه ويعتذر عن تأخره فى المثول بين يدى جلالته : « المعروض على سدة أمير المؤمنين ، وخليفة رسول رب العالمين ، أن العبد لا يصف عفو أمير المؤمنين إلا كما قيل لأخ جلالتكم فى الخلافة المعتصم العباسى : « لو علم الناس ما تجدون من اللذة فى العفو لتقربوا إليكم بالذنوب » . والحمد لله على تلك النعمة التى أسداها أمير المؤمنين لعبده الصادق . وإنما كان تأخيرى عن التشرف بسدة الخلافة لأمور هامة فى فائدة الدولة والملة قد تم بعضها . وإنى ألتمس أن أعرضها على ذات مولانا المقدسة حفظها الله للإسلام »

وبعد أيام طلب السلطان مثوله بين يديه ، فأكرم مقابلته وعينه عضواً فى مجلس « انجمن المعارف » سنة ١٣٠٣ هـ — ١٨٨٥ م . وكان ناظرها وقتئذ العالم الجليل المغفور له صاحب الدولة منيف باشا ، فقدر إبرهيم حق قدره ، وقربه إليه وعرفه بالشيخ الشنقيطى اللغوى الشهير

وتصادق المترجم له مع إبرهيم بك أدهم صاحب جريدة « الحقائق » التى كانت تصدر فى استانبول ، فكان ينشر فيها وصف جلال الموكب السلطانى فى كل مرة يذهب فيها لتأدية فريضة الجمعة

ومكث إبرهيم بك فى وظيفته هذه عشر سنوات تقريباً من سنة ١٨٨٥ هـ — ١٨٩٥ م . حدث فى أثنائها أن كتب بعض الجواسيس إلى السلطان عبد الحميد تقريراً جاء فيه أن إبراهيم بك لا يزال يراسل الجرائد فى مصر خفية بما لا يتفق وسياسة السلطان ؛ فما كان من جلالته إلا أن أرسل إلى صاحب العطوفة « كامل بك » ناظر الضبطية لاستجواب صاحب الترجمة والتحقيق معه فيما وصل إلى السلطان

ولقد كان هذا الجاسوس صادقاً فى تقريره . وهكذا كانت خطة إبرهيم بك فى جميع مراحل حياته السياسية لا يعرف التملق ولا التزلف ، ولم تحيده تلك الرتب والإنعامات الشاهانية عن طريقته المثلى فى حبه لمصلحة البلاد والدفاع عنها وانتصاره لها

وقد رأى شطط السياسة من جراء ما يزينه المتفنون حول عرش جلالته ، فأخذ ينشر مقالاته الانتقادية فى المقطم ، وكان يذيلها بأمضائه المستعار : « أحد العثمانيين الأفاضل »

وكان إبرهيم بك فى اليوم الذى قبض عليه فيه يحمل مسودة مقالة كان يريد نشرها ، فأسقط فى يده وأخذ يجهد فكره فى التخلص منها بأية وسيلة ! واتفق أن كان الناظر فى هذه الساعة مشغولا بتحقيقات أخرى — وما أكثر التحقيقات فى الآستانة — فأمر بأبقائه فى غرفة تجاور غرفة التحقيق ريثما ينتهى من استجواب الذين بين يديه

ففكر إبرهيم بك ، وهو المنزل فى الغرفة ، أن يتخلص من

المقلة التي في جيبه خشية تفتيشه ، فهم بحرقها ، فحدثته نفسه أن رائحة الدخان قد تبعث الشك في إدانته ، كما خشي تمزيقها خوف وصول بعض وريقاتها إلى يد بعض الجواسيس المنتشرين بدار الضبطية . وبينا هو في شغل شاغل إذ سمع صياح ديك فنظر حوله فرأى نافذة صغيرة بحواجز حديدية ، ففتح زجاجها وأطل من بين قضبان النافذة فرأى ذلك الديك وحوله أفراخ كثيرة ينقرن في الأرض بحثاً عن القوت ؛ فما كان منه إلا أن أخذ يقطع الورقة قطعاً صغيرة ويضعها في فمه حتى تمتزج بلعابه فيمضغها حتى تصير على شكل الحب ثم يرمي بها إلى الأفراخ فتتسابق إلى ابتلاعها حتى أتت على آخرها ، وأغلق النافذة وحمد الله

وبعد ساعة تقريباً اقتيد إبرهيم بك إلى غرفة التحقيق وابتدىء بتفتيشه فلم يعثروا على شيء ، وبعد مناقشات طويلة أسفر التحقيق عن براءته مما جاء في تقرير الجاسوس ، وطير الخبر إلى جلالة السلطان فأمر باستدعائه إلى « المابين » ، وأنعم عليه بالرتبة الأولى من الصنف الثاني سنة ١٣١١ هـ — ١٨٩٣ م . وصاحبها يلقب « بسعادتلو أفندم » وهي توازي رتبة الميرميران الملكية التي يلقب صاحبها بلقب « باشا »

وفي نفس هذه السنة قدم الخديو « عباس الثاني » ومعه بعض الوجهاء من المصريين لزيارة الآستانة والتشرف بمقابلة جلالة السلطان « لعرض الشكر والعبودية على أعتاب الخلافة السنية » فرأى ابراهيم بك من واجبه كمصري مقيم في استانبول أن يتشرف بمقابلة سمو الخديو عباس ، فذهب إلى القصر الكائن « بدفتر دار بورني » الذي يقيم فيه سموه ، ولكن « محمود باشا شكري » أشار على سمو الخديو عباس باشا الثاني لشيء في نفسه من جهة إبراهيم أن يمتنع عن مقابلته تجنباً لخطره وسطوة قلمه . فسوّف الخديو تحت هذا التأثير مقابلة إبراهيم الذي خرج حانقاً والشرر يتطاير من عينيه !

ولما كان يعلم أن جلالة السلطان سيدعو سمو الخديو والوفد الذي جاء معه إلى سراي « يلدز » مرت بخاطره فكرة جهنمية يستطيع بها تحريك غضب عبد الحميد عليهم أجمعين ! حرر عريضة من تلقاء نفسه اختلقها اختلاقاً ، كأن هؤلاء الوجهاء يرومون رفعها إلى الأعتاب الشاهانية وبعث بها إلى المقطم فنشرها ، والتقطها التلغرافات الأجنبية وترجمتها الصحف الإنجليزية وعلقت عليها ما شاءت أن تعلق ، وذهب سفير انجلترا في تركيا بأمر من رئيس الوزارة الانجليزية إلى الصدر الأعظم ليستفسر عما أجاب به السلطان على هذه العريضة التي قد تسبب توتر العلاقات بين بريطانيا العظمى والدولة العلية

فحدث من جراء هذه العريضة أن امتنع السلطان عن الإنعامات التي كان يرغب في الإنعام بها على من كان بمعية سمو الخديو كما هي العادة في مثل هذه الظروف ، إرضاء لخاطر انجلترا — حتى لا تعتقد أن لهذه العريضة أثراً في نفسه

وإليك صورة هذه العريضة بعد ديباجة الحمد والثناء :

« إن الله عز وجل نظر إلى العالم نظرة رحمة فاختارك يا أمير المؤمنين من بين البرية خليفة على عباده ، وجمع فيك شرائط الخلافة وبسط لك من القوة والسطوة ، وآتاك من الحزم والعزم وأصالة الرأي ما يفتخر به هذا العصر على سائر الأعصار ، وقرن طاعتك بطاعته وطاعة نبيه في كتابه العزيز ، وجعل حبك إيماناً والخروج عن أمرك مروقاً من الدين ، وحبب إليك الإقدام لمصلحة الإسلام . دأب الخلفاء السابقين ، وأودع في يديك أرواح المسلمين — وأموالهم تحكم فيها عن رضى وتسليم منهم . وقد عاهدوك على بذل دمائهم في طاعتك بأيمان البيعة التي ربط الله بها لك القلوب على المحبة في خلواتها ونجواها

فالمسلمون كلهم قاصيهم ودانيهم مجمعون على الانقياد لك في السر والعلانية لا يميل بهم عن هذه السنن قول ولا فعل لتوقف سعادتهم على طاعتك في الدنيا والآخرة

هذا ما جعل الله لك يا أمير المؤمنين ، وقد جعل لهم بهذا من جانب جلالتك أن تكلأ بيقظاتك بلاد الاسلام بعيدها وقريبها من طوارئ السوء وغوائل الشر على نسق واحد لا فرق بين مطلقها وممتازها ، وأن تدفع عنها كل صائل ومحتال ، وأن تذود عنها بالحجة والسيف والقلم وما يمكن أن يدافع به مادياً ومعنوياً

هذه مصر — أيد الله بك مقام الخلافة ، وثبت بك أركان السلطنة ، ونصرك النصر الوشيك — فريدة التاج العثماني ، والقسم الأكبر من السلطنة السنية والطريق الأعظم إلى الحرمين الشريفين . قد أصبحت تمديد الفزع الصارخ إلى عظمتك ؛ وتنظر كالمغشي عليه من الموت إلى حياتها في يدك الكريمة ؛ فامنن

عليها بالحياة يا أمير المؤمنين ، وخلصها ممن تجاسر على حوزة الإسلام بلا حجة ولا قوة ، وفي يد جلالتك الحجة والقوة ، وهذه أرواحنا رهينة ثلاثه أحرف من عظمتك ، فأمرنا بما تريد لتخلص الاسلام المتخبط في تلك الأشراك . وقد بقينا يا أمير المؤمنين سنين عدة معلقين لا ندرى أنحن تحت حكم الخلافة والسلطنة السنية فتطمئن قلوبنا ، أم تحت حكم هذا الذى دخل في يوم على وعد أن يخرج في غده فبقى إلى الآن تخفق راياته على مساجد المسلمين في بلد هي عش الأولياء ومرقد آل البيت النبوى ومجد جدك السلطان سليم خان ؟ فطفق هذا الداخل يستهوينا باسم الحرية التي لا توافق قيودنا الدينية ولا عاداتنا الأدبية فمال إليه جماعة منا ، ويوشك إن استمر في سيره أن يفسد الحاسيات والأخلاق بهذا التساوى المخالف للتفضيل الإلهي

فالآن قد وفدنا على دار الخلافة مع سمو وكيلك المطبوع على محبة جلالتك ، المفتخر بنظرات الرضى عليه من ألطاف عظمتك ، الواقف موقف السمع والطاعة لأوامرك ، راجين من السدة السنية إجراء الوسائط الفعالة لإخراج هذا الداخل على وطننا وإبعاده عن الأراضي المقدسة التي يدأبون على التدخل فيها ، فإنهم إذا استمروا — لا قدر الله — في البقاء بمصر سهل عليهم الدخول فيها وفي غيرها لطبيعة الموقع

ونسأل الله أن يؤيد جلالة مولانا الخليفة الأعظم وينصره على الباغين »

وفي أوائل سنة ١٨٩٥ م سئم العيشة في جو استانبول المكتظ بالجواسيس المختنق بالفتن والوشايات وشعر بالحنين إلى وطنه بعد طول الغربة . فعزم على الرحيل إلى مصر ودبر طريقة سفره في الخفاء على باخرة بخارية قادته إلى الاسكندرية

ولما علم جلالة السلطان عبد الحميد بخبر اختفائه وسفره إلى مصر بدون أن يقدم استقالته ، بعث يستعلم بواسطة « مختار باشا » المندوب فوق العادة للباب العالى عن السبب الذى جعل ابراهيم بك يترك وظيفته في « أنجمن المعارف »

فأبدى إبراهيم أسفه لمختار باشا وأفهمه أن قدومه إلى مصر إنما هو من باب الحنين إلى الوطن والشوق إلى رؤية ابنيه « محمد » و « خليل » ، وأنه لا يدرى كيف يشكر السلطات على نعمه

ولما كان ابراهيم بك مشغوفاً بالتحرير أخذ ينشر في المقطم من وقت إلى آخر مقالته الانتقادية فيما رآه في الآستانة العلية مدة إقامته فيـه تحت عنوان « ما هنالك » ثم جمعها وطبعها كتابا سنة ١٨٩٦ ميلادية . فبعث السلطان عبـد الحميد بأمره بإرسال جميع النسخ التي في حيازته إلى « المابين » ؛ فخضع ابراهيم لأمر جلالته وأرسلها جميعاً إليه ماعدا بضع نسخ كان قد وزعها على عائلته وأصدقائه . لذلك يندر وجوده

وفي سنة ١٨٩٨ م أنشأ جريدة أسبوعية سماها « مصباح الشرق » وقفها على خدمـة الأدب ونصرة الدين والدفاع عن حقوق الدولة العلية . وكان يعاونه في تحريرها ابنه السيد محمد بك المويلحي . وكان طلاب الأزهر يقفون على باب المطبعة الساعات الطويلة ينتظرون صدور أعدادها بفارغ الصبر ، وكانت تبـاع بقرش صاغ واحد ، وكان يعز مطلبها في اليوم الثاني من صدورها حتى كانت تشترى بخمسة قروش

وكان ابراهيم بك يسافر من وقت إلى آخر للآستانة لعرض ولائه على الأعتاب الشاهانية ، وليتسنى له الاطلاع بنفسه على ما في الجو السياسي من أخبـار ، فكان في كل مرة يعود مثقلا بالانعامات والعطايا حتى نال « الرتبة الأولى من الصنف الأول » وصاحبها يلقب « بسعادتلو أفندم حضرتلرى » وهي توازى رتبة « روم ايللى بكاربكى » الملكية . لكنها تتقدمها في التشريفات

وقد نال حظوة عليا لدى حضرة صاحب السمو الخديو عباس الثاني حتى إنه كثيراً ما كان يكلفه بأعمال سياسية هامة ، فكان يقوم بها خير قيام فنـال بذلك ثقته . ولم يقف دون رغبة سموه إلا مرة واحدة غضب عليه فيها بضعة أشهر ثم رضى عنه فكتب إليه الخطاب الآتي :

« قد وضعنى ولى النعمة في بوتقة الامتحان وأوقد علىّ بنار غضبه زماناً طويلا كما اقتضته حكمته ، حتى إذا صفانى وخاف على أن أحترق نقلنى كما اقتضته رحمتـه وسمته . فأشكر ولى النعم شكرين : شكراً على تصفيتي وتهذيبي ، وشكراً على رضاه عنى

وقد بعث الله لنبيه الملكين جبريل وميكائيل فشقا صـدره صلى الله عليه وسلم ، وأخرجا ما يكون بناموس الطبيعة في قلوب البشر ، ثم ختماه على الحكمة . وكذلك فعل ولى النعم : بعث

إلى عبده[1] فأصبح قلبي مختوما عليه بطابع الإخلاص والقيام بفروض الخدمة لدرجة التفاني فيهـا . فلو ذوبوني لم يجدوا في تركيب صدري إلا ثلاثة أشياء : الوفاء والدعاء والولاء ، لولى النعماء كل هذا انتهى وتم على موجب الحكمة العالية حكمة ولى النعم الذي اعتنى بتربية عبيده على هذا الأسلوب الحكيم .

لخدمة الأعتاب السنية هي قبلتي التي أوجه وجهي إليها ، وأصرف عزمي إليها . وهذا اعتقادي وهذا قولي وهذا خطي على ذلك والله شاهد ووكيل »

وفي سنة ١٩٠٣ كف عن إصدار الجريدة فجأة ! وهكذا كان إبراهيم بك يعطل كل جريدة ينشئها إذا نال منها غرضه

وكان يرسل في بعض الأحيان بمقالاته السياسية إلى بعض الجرائد كالمؤيد والمقطم عند ما كان يرى أن حقاً للأمة هضم

ثم أنشأ جريدة « المشكاة » باسم ابنة « السيد خليل بك المويلحي » و « حمدي بك بكن » ولم يصدر منها إلا أربعة أعداد فقط سنة ١٩٠٥ . وفي أواخر سنة ١٩٠٥ اعتلت صحته فاعتزل السياسة ليعالج مرضه حتى وافته المنية في ٢٩ يناير سنة ١٩٠٦

* * *

ولقد كان المرحوم سريع الخاطر ، طيب اللسان ، شديد الميل إلى النقد والمداعبة لا يفرق في ذلك بين قريب أو صديق حتى قيل فيه : « لم ينج من قوارص قلمه إلا الذي لم يعرفه »

وكان سريع الفهم ، قوي الاحاطة بخفايا الأمور ، وغوامض السياسة ، ولقد تقلب في أعمال كثيرة بين تجارية وحكومية وصحافية وسياسية ، لكنه لم يبلغ الهدف الذي كان يرمي إليه في كل واحد منها مع شدة ذكائه وحدة ذهنه . ولعل السبب في عدم ثباته هذا يرجع إلى طموحه إلى النجاح السريع ورغبته في بلوغ الدرجات العلى طفرة واحدة ، فانه لو ثبت في عمل واحد لبلغ أوجه

ويجمل بنا أن نقول قبل أن نختم ترجمته إنه كان مشغوفاً بتعلم اللغات الأجنبية حتى حذق التركية ومهر في الفرنسية وتعلم الانجليزية في آخر سني حياته عليه رحمة الله

إبراهيم المويلحي

(١) هو أحمد بك العريس

أبي ! !

للأديبة بهية فرج الله زكي

أبي ! سلاماً من وراء دجلة ! سلاماً عليك من قلب وحيدتك ! سلاماً من قلب جريح ! سلاماً على الروح السابح في لجة الأبد ، سلاماً على الجسد الهامد في التراب !

أبي ! لقد مات أبي ، وطار البرق الحزين ينعى بقية الأمل إلى القلب الحزين .. مات أبي ، وفي مصر خمدت جذوة حياته الذاكية ، فانطفأ في العراق مصباح رجائي المشتعل .. مات ، وقد كان وهو حي رسول البسمات إلى الثغور ، فأصبح وقد مات رسول الدموع إلى العيون

أبي ! حتى في ساعة الموت لا أراك ! وفي ساعة الوداع لا أطبع على جبينك القبلات ، وفي ساعة الرحيل إلى المثوى البعيد ، يحول دوني ودونك البحر المائج والبلد السحيق !

أبي ! يا منى النفس ، ويا روحا ضاقت بها حدود الأرض فطلبت فسحة الحياة في السماء . لماذا استسلمت للكرى فنمت نوم الأبد ؟ لماذا تركتني وحيدة وكنت بك جماً لا يخذل . . صوتي يملأ الفضاء ، وتجاوب أصداءه الأرض والسماء . ولكني لا أسمع جواباً ، فأين أبي ؟

أبي ! كنت تستلهم السماء خبر الغيب ، فهل قرأت في لوح الأجل موعد هجرتك من دنياك الفانية إلى عقباك الباقية ، فبكيت حين تحرك بي القطار ، وأنت الرجل الجلد الذي يسخر بالعواصف ، وجريت مع القطار وأنت الرجل الرزين الذي تخضع جوارحك أبداً لعقلك الكبير ، وأبهمني النظر الحائر وما حيرك الدهر المضطرب بالحادثات ... بلى لقد أحسست بالموت فكتمت سر الموت عن الأحياء

أبي ! لأنك تحب العراق آثرت الرحيل إلى العراق ؛ البلد الذي لم تبخل عليه بفلذة كبدك ، البلد الذي خلت فيه حياة خصيبة لأملك الروحي ... فلماذا تركتني في وطن قلبك ونزحت أنت إلى وطن الخلود

التاريخ في سير أبطاله

ابراهام لنـــــكولن

هدية الاحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

— ٨ —

يا شباب الوادي ! خذوا معاني العظمة في نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامي العظيم

نجح لنكولن في الانتخاب ، فظفر بمقعد في المؤتمر ظل ينزع إليه سنوات أربعا طويلة ؛ وكان هذا النجاح كفيلاً أن يبث في قلبه من الغبطة والبهجة بقدر ما بثه فيه الانتظار الممل من السأم والضجر ، ولكنه كتب إلى صديقه سبيد ينبئه أنه لم يهتز كثيراً للنجاح كما خيل إليه قبل أنه فاعل إذا ظفر . وتلك حال من حالاته العجيبة ، بل هي حال من حالات النفس البشرية تدعو إلى العجب والاعتبار ؛ فكثيرا مايتمنى المرء ما ليس في يده حتى لتكون سعادته كلها مجتمعة في أن ينال ذلك الذي يتمناه ، فإذا اقترب من بغيته أو شبه له أنه مقترب راح يظفر من الفرح ، ورأى في كل شيء حوله معاني الحبور والغبطة ، وإذا بعد عن ضالته أو خيل إليه أنه مبتعد ، ضاقت في وجهه الدنيا وبات من همه كأنه في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج ؛ حتى إذا قدر له آخر الأمر أن يرسو على الشاطئ وأن يلمس بيده مبتغاه وقف حياله وقفة من لم يجد شيئاً ، وفتح عينيه على الحقيقة كمن يفيق من حلم ذابت ألوانه وتلاشت أطيافه وتبددت رؤاه ... ذلك هو غرور الحياة ، ولكن ما ألذه من غرور ! وما الحياة في جلتها إن هي خلت من هاتيك الأحلام ؟

وانقضى عام بين نجاحه وذهابه إلى المؤتمر . ولقد صحبته زوجه إلى وشنجطون العظيمة ، وزارت البيت الأبيض ، ولعلها كانت تحدث نفسها في زهو أنه في غد مقر بعلها . ومشى ابن الأحراج في المدينة تستوقف الأبصار هيئته إذ كانت لا تزال روح الغابة تصحبه كأنما هو نوع من الشجر جيء به إلى غير منبته ... وسرعان ما أنس الناس به ، فهم إذا جلسوا إليه يشعرون أن روحاً قوياً يسري إليهم منه وإن لم يتبينوا ما هو ؛ وكذلك أخذت تطل عليهم نفسه في فيض من قصصه ...

أما في المجلس فقد كان أول الأمر بحيث لا يحسب أحد أنه سيكون يوماً من النابهين ، ولكنه ما لبث أن بدد هذا الزعم بخطاب احتفل له وجعل له كثيراً من الأهمية ، يتبين لنا ذلك فيما كتبه في هذا الشأن إلى صديقه هرندن ؛ وكان الخطاب يدور حول الحرب القائمة في تكساس ، وجه فيه لوماً عنيفاً إلى رئيس الاتحاد أن خرج بهذه الحرب عن الدستور كما فرط بها في جانب العدالة والخلق

قال لنكولن : « ليذكر الرئيس أنه يجلس حيث كان يجلس وشنجطون ، وليجب إذا ذكر كما كان يجيب وشنجطون ، وكما أنه لا يليق بأمة أن تهرب من الحق ، والله لا يسمح أن يُهرب منه . كذلك ليتجنب الرئيس الهرب والمراوغة ؛ فإذا استطاع بعد ذلك أن يقيم الدليل على أن الأرض التي سالت عليها الدماء أول ما سالت هي أرضنا فإني موافقه فيما يسوق من مبررات . ولكنه إن عجز عن ذلك أو أحجم عنه فإني حينئذ خليق أن آخذ على اليقين ما يقوم في نفسي فعلاً مما هو أكثر من الظن ، فأرى أنه يشعر بخطئه ، وأنه يشعر أن الدم الذي سال في تلك الحرب هو كدم هابيل يستصرخ السماء ضده »

أبي ! لن أنسى ما حييت رسالتك ، رسالة المحبة والسلام ، وسأظل ذاكرة إلى الأبد ما سطرته إلى يدك وأنت تعالج الموت : « عاشري الناس بروح المحبة . كوني قدوة حسنة ، ارفعي الفوارق الموجودة بين الناس . . . إننا كلنا أوراق أغصان شجرة واحدة . . . »

أبي ! سأعيش كما عشت بهذه المبادئ ، وسأموت لها . وإذا كان الوفاء هو دين الميت على الحي ، فان ديني الذي لا أمطله جهاد كجهادك ، ودعوة إلى الحب كدعوتك ، وذكرى طيبة ترضيك ، وعمل في سبيل الانسانية يرضي الله

أبي ! سلام عليك في الذاهبين ، سلام على قبرك بين قبور المخلصين ، سلام علي وحيدتك الجريحة ، سلام على بغداد التي أحببتها وسأحبها من أجلك !

بهية فرج الله زكي

مدرسة بمدارس العراق

ولكن تلك الحرب كانت في نظر الناس أمراً مستساغاً لأنها ستضم إلى الولايات أرضاً جديدة ، كما أن جيوش الولايات كانت ظافرة فيها . من أجل ذلك لم ينل ابراهام بخطابه من الرئيس ، كما أنه لم يظفر بتأييد أو قبول من جانب زملائه . ولقد أحس هو بضعف موقفه ولهذا جعل الأمر في الهاجمة أمر خلق لا أمر سياسة ؛ وأخذ يندد بضم تكساس على رغمها ويستنكر ذلك الفعل على الأخص أن كان صدوره من دولة تدعو إلى الحرية وتباهى العالم بأنها أرض الحرية

وكان مما جاء في ذلك الخطاب قوله : « إن من حق أية أمة في أية جهة إذا أحست في نفسها الميل واستشعرت القوة أن تثور في وجه الحكومة القائمة وتعصف بها ، ثم تقيم بعد ذلك من الحكومات ما يكون أكثر ملاءمة لها » . وإنا لنراه بذلك يجعل للثورات صفة شرعية ، كما أننا نفهم من هذا المبدأ مبدأ آخر جاء ضمنه ألا وهو مبدأ سلطة الأمة ووجودها في أساس كل سلطة !

تلك هي خطبة لنكولن التي احتفل لها وافتتح بها عمله في المؤتمر ؛ تراها وإن لم تصب بموضوعها موضع العطف من نفوس أعضاء المؤتمر ، قد رفعت ذلك المحامي في أعين رجال السياسة ، وعلم من لم يكن يعلم منهم مقدار ما أوتيه ابن الأحراج من قوة البادهة ومتانة الحجة وفصاحة اللسان ، ومقدار ما رزق من قوة الجنان ويقظة الوجدان ، ورأوا فيه إلى جانب القصاص الذي لا يبارى ، الخطيب الذي يعرف كيف يسحر السامعين وإن كانوا عن آرائه معرضين . !

وكم للتاريخ من مواقف تدعو إلى العجب ! فهذا لنكولن اليوم في المؤتمر يندد بالحرب ، وقد تعاظمه سفك الدماء وإزهاق الأنفس ؛ وهذا لنكولن يقرر حق الشعوب في اختيار ما ترضى من الحكومات ... ولسوف يتخذ أهل الجنوب في غد من أقواله حجة عليه ؛ يوم يهمون بالانسلاخ من الاتحاد وهو يأبى عليهم ما يبتغون ، ويعمد إلى الحرب فيصليهم ناراً حامية ويسفك الدماء ويزهق الأرواح حتى يكرههم على الاتحاد وهم صاغرون !

وتهيأت له الأسباب ليسير في البلاد فيزداد بالناس اتصاله ويستزيد منهم أعواناً له ومحبين . فلقد انتهت وهو في المؤتمر مدة الرئيس القائم وأخذت البلاد تنتخب رئيساً جديداً ؛ وكان حزب الهوجز الذي كان أبراهام من أفراده قد رشح للرياسة أحد زعمائه ويدعى تيلور . وهل نسي إبراهام تيلور وقد كان رئيسه في الحرب ضد الصقر الأسود ؟ على أنه على الرغم من محبته لتيلور يأسف أن يراه ممن يتملكون العبيد على نمط أهل الجنوب . . . ولكن لا ضير الآن فهو ممن لا يريدون أن تزداد ولايات العبيد ، كما أنه أقل من منافسه من الحزب الديمقراطي تشيعاً لمبدأ اعتناقه العبيد وأضعف منه استمساكا به ...

أخذ لنكولن يجوب البلاد شرقاً وغرباً ويخطب في الناس مؤيداً رجل حزبه ؛ فكان إذا قام في جماعة لم يروه من قبل جذب إليه الأنظار بطول قامته وغرابة ملامحه ، فإذا أطلق العنان لكلامه سرت في الجموع منه روح عجيبة لا يدرون كنهها وإن أدركوا فعلها ... ورأوا عينيه تلتمعان حتى ما يعرف الناس أنهم رأوا مثلهما قبل ، وأبصروا في ملامحه معاني أبلغ من كل كلام ، وأعمق أثراً من كل حجة ... والخطيب ينتقل بهم من مثل إلى مثل ومن حكاية إلى حكاية ؛ ثم يرسل الجملة بين حين وحين ، فإذا هم يضحكون ملء نفوسهم ؛ وهو في حماسته يشمر ردني حلته ويفعل مثل ذلك بقميصه . ولقد يحل رباط عنقه أو ينتزعه من موضعه كأنه مقبل على مبارزة ! ولا يكاد يفرغ من خطابه حتى يهرع الناس إليه متدافعين بالمناكب لكي يزدادوا نظرا إليه من كثب . . . وظفر تيلور بالرياسة ، وعرف لابراهام يده وحسن صنيعه ...

وكان مما سادفه في تجواله هذا أن استمع في بوستن إلى خطبة من أقوى الخطب التي وجهت ضد امتلاك العبيد ، وقد ألقاها رجل من كبار الداعين إلى التحرير ، هو سيوارد ذلك الذي سيكون له في غد شأن في هذا الأمر مع لنكولن حين يهم بتأدية رسالته . استمع لنكولن إلى الخطبة في بوستن واستشعرتها نفسه ، وكان مما عقب به عليها قوله : « أعلن أنك محق . لقد آن أن نطرق معضلة العبيد وأن نلقي إليها من اهتمامنا بأكثر مما كنا نفعل من قبل »

وفي عودته إلى وشنجطون أحد يمضد حركة أخرى كانت موجهة ضد العبيد على يد داعية آخر من دعاة التحرير ، هو

ولت الذى كان يدعو بكل قواه إلى منع انتشار العبيد فى الأراضى التى تستخلص من المكسيك ؛ وفى المؤتمر تقدم لنكولن يطلب القضاء على العبودية فى ولاية كولومبيا وفى عاصمة البلاد ، وكان فى مقترحه عادلا يجمع إلى العدالة الكياسة وبعد النظر ، ولكن ذلك المقترح وا أسفاه قد حيل بينه وبين أن يكتسب الصفة الشرعية إذ عمل رجال المؤتمر على تأجيله مخافة أن يثير من الجدل مالا يحبون ، حتى أوفى دور الانعقاد على الانتهاء فاعتذروا من عدم النظر فيه على الرغم مما بذله لنكولن من جهود وما أنفقه من حيلة ...

وانقضت أيام ذلك المؤتمر ، وهو المؤتمر الثلاثون فى تاريخ الولايات وعاد لنكولن وهو يخطو إلى الأربعين ليعيش من جديد فى سبرنجفيلد ...

عاد ابراهام الى سبرنجفيلد وهو يحس بينه وبين نفسه مرارة الهزيمة فى السياسة ، فلقد خذله رجال المؤتمر فى مقترحه كما رأينا وأعرضوا عن خطبته التى وجهها ضد الحرب فى تكساس ، تلك الخطبة التى لامه عليها الكثيرون من رجال حزبه حتى هرندن نفسه أحب أصحابه اليه

لذلك انصرف عن السياسة وعاد من جديد إلى المحاماة ؛ بيد أن رجال حزبه يزينون له أن يطلب منصباً رسميا ويشيرون إلى حقه فى ذلك وهو من جانبه لا يحجم فيطلب الى الرئيس أن يهيئ له منصباً ثم يزيد فيطلب منصباً معينا لا يلبث أن ينافسه فى السعى إليه آخرون حتى يفلت من يده ، ويريد الرئيس أن يجامله فيعرض عليه منصباً غيره ؛ ولكن زوجه تقف بينه وبين هذا المنصب ، وتصر على موقفها معلنة أنها لن تقبل لزوجها عملا يعود بهما إلى الأدغال حيث كان مقر ذلك العمل واحدا من تلك الأصقاع الداخلية ؛ ويرفض إبراهام المنصب آخر الأمر . وهكذا نرى زوجه للمرة الثانية حريصة على أن توليه القبلة التى لا ترضى له غيرها قبلة ..

وكانت المحاماة وظيفته الطبيعية إذا فرغ من السياسة الى حين ؛ فما باله يريد أن يتنكب طريقه ويستبدل بعمله عملا آخر لا يتصل بطبعه ولا يستقيم مع خلقه ؟ ما باله يريد أن يحيد عن الغاية وقد قطع فى سيره اليها شوطاً ليس باليسير ؟ ترى ماذا كان يحدث لو أنه كان غير وجهته واتخذ له غاية غير غايته ؟ ولكن الدهر يضن به ويدخره لغد ويأبى أن يغير تاريخ قومه بطمس رسالته ...

عاد من السياسة الى المحاماة عودة ظن الناس معها أنه لن يقرب السياسة بعد ذلك ؛ وكان قد ترك العمل كله لصديقه هرندن ؛ وهو اليوم فى المحاماة أعظم خبرة من ذى قبل وأكثر معرفة بأحوال الناس وشئون حياتهم

وكان من أبرز صفاته سرعة ألفته للمواقف الجديدة فى حياته ، وترك مواضيها حتى تيمها الأسباب . لذلك أقبل على المحاماة إقبالا لا يظن امرؤ معه أن قد كانت له صلة بمهنة سواها ، وكأن العمل فى السياسة لم يكن إلا عارضاً مر وانقضى فليس اليه رجعة . هذا والسياسة مستكنة فى نفسه ومعضلة العبيد فى أعماق وجدانه تنتظر أول صيحة لتبرز من جديد وهى أعظم قوة وأشد وضوحا وأكثر اقترابا من الغاية ...

وضاق إبراهام ذرعا بما تثيره زوجه من عوامل الشقاق فهى ما تفتأ تريه التبرم والسخط وتأخذه بألوان من العنف يوشك أن ينفد لها صبره ويطيش حلمه ، لولا أنه يعود بالسبب على مزاجها الحاد ؛ وإن كان ليسأل نفسه بين حين وحين أهى مغضبة عليه حانقة لما أصاب من فشل فى السياسة ، فما تزال تتعلق بأوهى الأسباب لمجادلته ومغاضبته وقد صغر فى عينها وهان لديها شأنه ؟ ... ولكنه يحس من زوجه أنها على شغفها بتعنيفه تضمر له المحبة والاعجاب كعهده بها فيطمئن قلبه ويرد الأمر فى هذا الشقاق الى ما يعرف من طباعها

ولكن الشقاق متصلة حلقاته وان وهت دواعيه ؛ والمدينة أضيق فى عينه اليوم منها قبل ، وهو ابن الاحراج والغابات والبقاع المترامية ؛ وهو الذى لم يألف الاستقرار فى موطن . لذلك عول على أن يعمل فى المحاكم المتجولة فيقضى أشهراً بعيدا عن المدينة وعن بيته ، يتبع المحكمة أينما سارت ، إذ كانت المحاكم يومئذ فى تلك الأصقاع هى التى تذهب إلى الناس !

وبرزت فى المحاماة مواهبه من جديد وظهرت خلاله ، وأخذ ينشر مبادئه بالعمل لا بالقول . جعل الحق رائده والصدق شعاره كما جعل مرد كل شيء عنده إلى معانى الانسانية والفضيلة لا إلى أصول القانون وملابساته . وليس معنى ذلك أنه أهمل جانب القانون

كلا إنما كان يهمل جانب القانون إذا أدت ملابساته إلى التعمية وإظهار الباطل فى زائف من ثياب الحق ؛ ولذلك جعل الفضيلة فوق القانون ، والصدق فوق المهارة فى الحوار واللباقة فى المجادلة . وكان يحث أصدقاءه من المحامين ومحبيه من الناشئين على ألا يفرطوا فى جنب الفضيلة قائلا فى صراحة وفى بساطة : ان هناك رأياً شائعاً فى الناس مؤداه أن المحامي رجل يتهاون عادة فى حق الأمانة ؛ ولذلك فلا بد من أن يتمسك المحامي بالأمانة فيما صغر أو كبر من الأمور لكى يدرأ تلك التهمة الشنعاء عنه وعن طائفته . ومن عباراته الشهيرة فى ذلك قوله : « يجب أن تبث فى المهنة روح الفضيلة لكى تطارد تلك الروح الأدنين » وقوله ينصح أحد الناشئين : « إعمل على أن تكون محامياً أميناً . فاذا لم تستطع أن تكون أميناً وأنت محام فخير لك أن تكون أميناً وألا تكون محامياً »

أما عن مسلكه فى معاملة الناس فظل هو هو الرجل المتواضع القنوع . كان يرضى بالقليل من الأجر إذ كان يعتبر طلب الأجر الباهظ من أكبر آثام المهنة . ويذكر أنه دافع مرة عن حق رجل فى مبلغ ستمائة دولار ولم يتقاضه أجراً على ذلك سوى ثلاثة ونصف ! ويذكر أيضاً أنه لم يتفق على الأجر مرة . فلما ربح القضية أرسل إليه موكلوه خمسة وعشرين دولاراً ، فرد إليهم عشرة منها قائلاً : إن ما بقى هو ما يستحقه !

وكان أينما حل يأسر القلوب بسجاياه ، فهو لا يتكلف ما ليس له . ولذلك كان يخالط الناس كأنه أحدهم ، يضاحكهم ويلاطفهم ويسرى عنهم بأقاصيصه . والناس يفطنون إلى عذوبة روحه وطيب قلبه ويقظة وجدانه ، فيفرحون أن عرفوه ويحرصون أشد الحرص على مودته . ولا فرق عنده بين غنيهم وفقيرهم أو بين كبيرهم وصغيرهم ، حتى الصبية كان يغمرهم بعطفه فيذهب أحياناً إلى جماعاتهم يتفرج على ألعابهم لحظة ، ثم إذا هو بينهم طفل كبير . ولا عجب فقد كان قلبه الكبير مليئاً بمعاني الانسانية فى نسقها الأعلى . وتلك لعمرى هي العظمة الحق التى تغمر قلوب بعض البشر فتسمو بهم عن بشريتهم وهم بين الناس يعيشون كما يعيشون

وكان فى المحكمة كما كان فى خارجها الرجل المتواضع العف يدخل وجيوبه منتفخة بأوراقه ، وقبعته ثقيلة بما حوت ، لا يعرف أبهة المظهر وقد سلم له الجوهر ، ولا يدرى ما التطاول والتعاظم وقد عظم حتى صارت العظمة هي كما يفعل !

كان الصدق فى الدفاع أول وسائله فى الاقناع . وقد يتبين له أثناء دفاعه أن الحق قد ألبس عليه بالباطل فيترك القضية لأنه لا يستطيع أن يلائم بينها وبين طبعه ، أو أن يرفعها إلى مستوى حماسته وصدق شعوره . على أنه ما كان ليفعل ذلك لو أنه استطاع . وكان المنطق السليم والانصاف بعد ذلك أدواته ووسائله ؛ يضاف إليهما الدراسة الدقيقة لما ينهض له ، والاحاطة بجميع تفاصيله . هذا إلى ما امتاز به من صفاء الذهن صفاء يساعده على تبين الطريق إلى غايته في يسر ووضوح ، حتى ما يلتوى عليه أمر أو يعزب عن ذهنه حادث

وعرف عنه فيما عرف الأناة حتى لقد كانت تغضب منه زوجه وترميه بالبلادة . وكثيراً ما تبرم صديقه هرندن وتملل لأناته . فانظر إلى إبراهام يسأله أن يأتيه بمبراة وسكين فاذا أحضرهما قال له : إن سلاح تلك المبراة أقصر وأحد ولعلك تظنها بذلك أنفع من السكين إذ هى أسرع ، ولكن أيتهما أبعد من الأخرى غوراً إذا نفذتا فى جسم ؟ ويقتنع صاحبه بعدها أن التأنى فى الأمور أبعد فى سبر الأمور غوراً ، ولا يشتكى بعد من أناته ويطيق معه صبراً !

وكان مما يهابه منه المحامون تهكمه ، فهو يعمد فى دفاعه أحياناً إلى التهكم اللاذع فيزلزل به قدمى خصمه حتى ليذهل عن رشده بين ما ينبعث من جوانب القاعة من الضحكات ...

وكان إذا جاءه أحد الناس يطلب إليه المدافعة عنه استفهمه حتى يستقصى خبره ، وهو على طيبة قلبه يقرأ فى وجه محدثه أمارات الكذب إذا هم أن يكذب ، فما يزال به حتى يرده إلى الصدق فى مهارة دون أن يسيئه فى شعوره ! فهو وإن لم يك من الماكرين لا يقدر أحد أن يمكر به . فاذا جاء دور الأجر طلب إلى موكله أن يدفع ما يستطيع . فان كان موكله مملقاً فكثيراً ما كان يكتفى من الأجر بالثواب وبالجميل يغرسه فى قلبه . ذلك ما حدث حين قام يدافع عن ابن متحديه القديم أرمسترنج وقد اتهم فى جناية فانه لم يتقاضه على تبرئته أجراً إلا المودة

« يتبع »

الخفيف

تطور الحركة الأدبية
في فرنسا الحديثة[1]

فرديناند برونتيير F. BRUNETIÈRE

١٨٩٤ — ١٩٠٦

للأستاذ خليل هنداوي

— ٢ —

نقده التطوري

كان (برونتيير) في نقده معارضاً أشد المعارضة للنقد المنفعل وزعيمه (جول لمتر). والنقد الشكي وصاحبه (أناطول فرانس)، كان يؤمن بأن في خارج عوالمنا حقيقة معهودة وأن ليس حقاً أن تكون الآراء مختلفة وأنواع المذاهب عميقة التباين إلى غير حد. إذ في الإمكان أن تعرف — وبمقياس خاص — أن نحلل فنحدد تاريخ أثر ما، وأن نفسر أخلاق كاتبه، وندرس تاريخ بيئته كما صنع سانت بوف وأن نعمل خيراً مما عملوا. يمكننا هذا ويجب أن نناقشه. أما النقاد المنفعلون فيعملون على ألا يبدوا إلا انفعالاتهم دون أن يجزموا بها. على أن هنالك قواعد كثيرة مرهقة دقيقة تخص الأدب والفن، تجبرنا على أن نناقش الآثار الأدبية ونعمل على تصنيفها وبحسب هذه القواعد شن (برونتيير) الغارة على الواقعية والرمزية، وهنالك شيء غير هـذا يتعلق بالقواعد الفنية

فنظرية الفن من أجل الفن نظرية خطرة يجب ألا تقفنا مجردين إزاء الخير والشر في الأخلاق، إن أرادوا أو لم يريدوا، فإن أثراً ما قد يثير تأثيراً حسناً أو سيئاً. ومن واجبهم أن يقضوا عليـه مهما كانت بواعث المؤلف إذا كان تأثيره تأثيراً خطراً. والناقد في نظريته هذه يوافق تلميذ پول بورجيه.

وقد أراد — برونتيير — أن يعطي نقده صفة علمية، وقد زعم أنه اكتشف قانوناً يحيط بالأنواع الأدبية ويصنفها، يقول: إن الأنواع الأدبية مهما كانت البواعث عليها من ضرورة أو حاجة أو بيئة، فهي مثل الأنواع الحية للأحياء التي درسها «داروين». «كل شيء يتطور. لا شيء يبقى ساكناً». كذلك الأنواع الأدبية تتطور، تمشي حيناً إلى صلاح وحيناً إلى فساد، وقد درس الشعر العاطفي والقصصي وبنى نقده على مذهبه التطوري. وإذا لم يبق لبرونتيير شيء من هـذا المنطق العلمي فإن تطوراته جاءت تحتوي تنظيماً للتغيرات الأدبية، تصنف الآثار الأدبية كما يصنف علم الطبيعة أنواع الأحياء. وكان لنقده تأثير كبير في الأندية الأدبية. ولم يكن هذا النقد يعتمد على الأحوال العلمية فحسب، بل كان يرجع إلى التاريخ وإلى معرفة واسـعة للآثار والنصوص. وذلك ما كان مجهولاً قبله، ولقد كان قبل كونه نقاداً محارباً نقاداً قاسياً ذكياً. فهو وحده أعلى شأن الكتاب المهملين وشأن كل الحركات الفكرية المهجورة لأنها لم تأت في أثر مذكور، أو قول مأثور. وكان ذا موهبة خطابية يعلمها من كان يشهد محاضراته، وتشهد عليهـا تلك الأمواج الكثيرة التي كانت تسحرها لهجته ويفتنها بيانه

أدب الحياة

إن المدرسة الرمزية كالمدرسة البرناسية تعمل على الانطلاق من حياة الجماعات، لا يؤلف أصحابها إلا لأنفسهم خاصة. فهم ينظمون شعراً لفئة خاصة، وإذا هم ترنموا بالحياة لم يترنموا بالحياة العامة التي يظهر فيها القطيع الإنساني قطيعاً بائساً يمشي على إيقاع القوات الحاكمة. والعودة إلى الأدب الإجتماعي ومحو التشاؤم (البرناسي) قد ولدا مدارس وآثاراً تريد أن تترنم بالحياة وتملأها شدواً وحناناً وجمالاً. وقد أسس (بوهيلي ومونتفور وموريس) مذهباً يعيد للإنسانية جمالها البطولي، وينظم الروابط التي تصلها بالوجود، ويثير شماعها القوى في الطبيعة. وهـذا الشاعر (فرناند جميك) يذود عن الإنسانية التي تحتل مكانها في الوجود بواسطة الإنسان. وبعد هذا فإن الوحدة التي أعلنها (جول رومان) والتي تسمى إلى التعبير بصورة رمزية لا عن نفس ولا عن أنفس، ولـكن عن النفس الإنسانيـة عامة التي تبدو حيناً متحدة وحيناً منقسمة. هي النفس الحقيقية العميقة من

(١) عن الأستاذ «دانيال مورني»

النفوس البشرية ؛ ومن أظهر آثاره فى هــذه المعنى (الجيش فى المدنية)

ومثال ذلك من الشعراء مقاطيع (أميل فار هارم) الشاعر البلجيكى . ولد فى (سانت راماند) بالقرب من (أنفرس) سنة ١٨٥٥ . وقد درس الحقوق فى أول عهده ثم وقف حياته كلها على الشعر ، ودرس خلال ذلك أسرار النفوس الخفية . ومات سنة ١٩١٦

عاش «فارهارم» وتثقف فى بلد هادئ ، وفى قلب أسرة متدينة غنية بالعافية مطمئنة القلب . ونشأ هو درّيساً مرحاً وإنساناً يجنح إلى الطرب . وبعد أن قل ميله إلى المدرسة الكلاسيكية ونزوعه إلى لامرتين وهوجو أخذ ينظم شعراً واقعياً حساساً . ولكنه استنفد قواه ، أو أن قواه كانت أضعف مما كان يظن ؛ فأصابه بلاء فى صحته ، حتى أصبحت أعصابه المتوترة لا تستطيع أن تحتمل أية ضجة ، لا وقع لحن ولا وطء قدم . وهذا بلاء تولد عن بلاء نفسى . فلقــد كانت طفولته مشحونة بالأساطير ، طافحة بالتقوى والاعترافات والصلوات ! ولكنه شك فجأة وجرب باطلاً بأن يستعيد إيمانه ، فكان أن فرّ الإيمان وأقبل الألم

فأخذ يجد فى السياحة فى أطراف البلاد طالباً التعزية لنفسه فكتب ونظم ... وفى هذه الفترة أصاب وطنه أزمات اجتماعية عنيفة حتى أقوت القرى من سكانها ، وعجت المدن بمن استهوتهم بألوانها . ولكن (فارهارم) عاوده الشفاء رويداً رويداً ، فعاد يجد الحب والإيمان . أما الحب فلم يتكلم عنه إلا بمقاطيع محجبة ولكنه يبدى إيمانه به . فالمدن قد فتحت أذرعها إلى القرى لتخليها من أهلها ولكنها — رغم عيوبها وشرورها — قد أوجدت العزم والقوة . وإنها لقوة مشوشة ، ولكنها جميلة مخصبة لأن البرية المنجذبة أخذت تموت . فلتترنم الآن بالقوة التى تحيى الموات . هذه هى ألحان الحياة الحاضرة ...

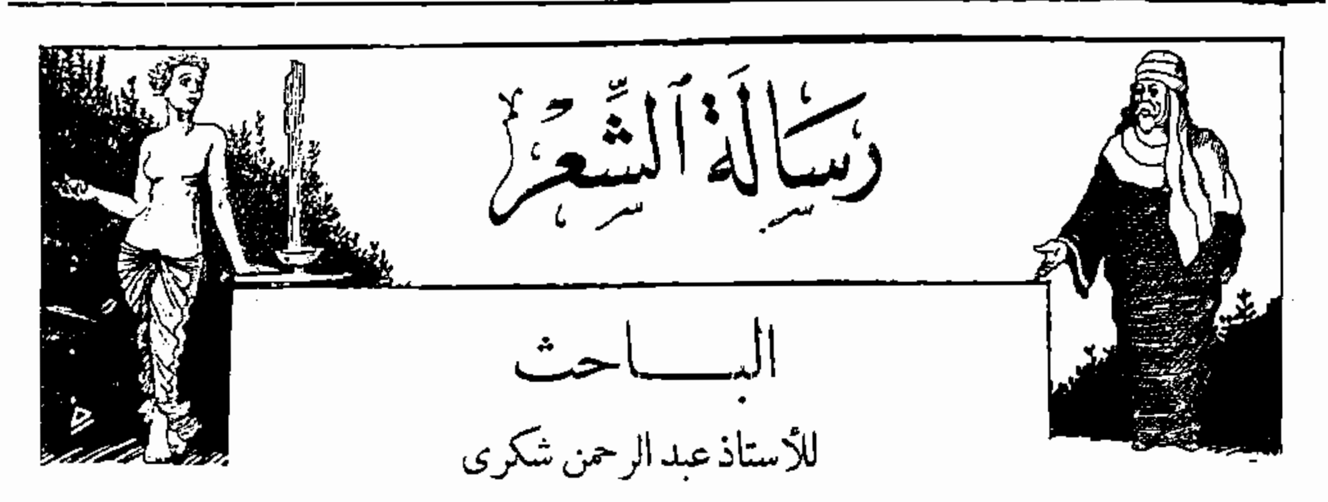
ولكن شفاءه لم يجعل منه إنساناً صافى الشعور . فقد ظل على ارتماشه وهيامه الباطل . وقد علمنا أن له — منذ طفولته — إحساساً عصبياً عنيفاً ، وبعض الذكريات من هذه الطفولة قد ولدت فيه أنواعاً من حب الأسرار ناهيك بطغيان المخيلة عليه . وقد جرى خلف مدارس أدبية حديثة ، فاستمد من شوبنهاور ومن بودلير ومن فرلين ومن مالارمى . فكان هو ومعه فئة من بنى قومه أسسوا الفن الحديث فى بلجيكا الحديثة ، وكانوا ينشرونه فى المجلات الرمزية . وهذه الرمزية كان مزاج شاعرنا يميل إليها

هنالك صور مفاجئة تتولد من نفسه فى ظلمة نفسه بصيحة من نفسه ، أو حلم أو حالة مجهولة ، ومنها تتولد صور أخرى تحف بها فتكون قصيدة رمزية ، لأنها ليست مظهراً عدمياً للتأمل . ولكنها نوع من هذا الهيام الباطنى حيث كل خيال يعكس حالة من حالات النفس ، وكل نغمة تمثل فكرة موزونة

وهكذا قدر لشاعرنا أن يعبر فى دوانية «القرى الباطلة» و «البرارى الهائمة» عما لا يقدر عليه شاعر آخر من معان تفر من الوضوح ومن التعبير الواضح . فكان بهذا شاعر المطر والريح والسكون وكآبة الهجر والعزلة . وكان بهــذا شاعر الكآبة المنجذبة الشاردة للأشياء . ولكن سرعان ما شفى من هذه الحالة النفسية فلم يعــد يميل إلا إلى الطرب والنور . وبدلا من تلك المطاحن السوداء والمآسى وحفارى القبور وكل ما يمت على الأسى أخذ ينظر إلى السنابل المتحركة والمطاحن الفرحة ويسمع الصراصير ويفهم كل أشكال النور والخصب وفرح الحياة . ألم يكن يجد فى كل حالة شقاء له وكدراً دون أن يقدر على الفرار من هــذا الكمد ؟ كان يحيا فى عالم صاخب ، ومذ عاد إليه إيمانه الاجتماعى وتفاؤله نشأ عنده ميل إلى كل ما رن ويدوى ، وإلى كل ما لا يسقط كالسم فى النور . وإنما ينساح كالجدول المنساب فى الغابة . فتش فوجد الشعر العاطفى هو الذى يقدر أن يعبر عن هذا الشعر للحياة الهامسة المضطربة ، هذا الشعر الخطابى حيث تدور الفصاحة فيه وتسيطر عليه . وأطياف من الصور القاسية التى تنتهى بالذوبان فى شبه وحدة متحركة فى الإيقاع الناعم القاسى لحياة لا تجرى على نظام متبوع !

« يتبع »

خليل هنداوى



البــــاحث

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

المقدمة

قد صور كثير من المفكرين والشعراء حياة الانسان عصراً بعد عصر كأنها حياة إنسان واحد أو كأنها بحث متصل دهراً بعد دهر ، وهذا البحث هو ما يزكون به حياة الانسان وما يعذرون به شقاءها وآلامها ويأملون آمالاً كباراً من وراء تقلب الانسانية فى بحث الحياة . ومن هذه الآمال رجاؤهم أن يعم الشعور بوحدة الانسانية على اختلاف الأجناس والشعوب والمطامع والضرورات والمطالب والنزعات النفسية ، ويأملون إذا عم هذا الشعور بوحدة الانسانية أن يقلل الاحساس العام بوحدتها من البغضاء والشرور والحروب والآلام والجشع ، وأن يؤدى إلى التعاون على الحياة بدل التقاتل عليها . وهذا البحث الانسانى المستفيض دهراً بعد دهر للحياة وما يدعو إليه من الاحساس بكل شعور وكل حالة من الحالات كى يعم مبدأ وحدة الانسانية هو الذى دعا إلى تخيل إنسان يعيش دهراً بعد دهر فى كل حال وفى كل مكان حتى يملأ العطف قلبه ويرى أن نشدان الحق غاية الحياة ، وعلى فرض أن هذا الأمل الكبير فى أن يعم الاحساس بوحدة الانسانية حتى تمحى شرور الجشع في التقاتل عليها لن يتحقق فان بقاءه كمثل أعلى مما يخالط مرارة الحياة بحلاوة منه

وعلى فرض أن المثل الأعلى لا يكون فى تحقيق وحدة الانسانية ؛ فى القصيدة مثل آخر وهو أن نشدان الحق هو الشعلة المقدسة التي ينبغي أن يرعاها الفرد ، وأن ترعاها الانسانية عامة

القصيدة

بينا كنتُ سائراً لاح شيخ ذو سكون ونظرة هوجاء[1]
ويكاد الضـياء ينفذ منه فهو بين الأنام صنوُ الهواء[2]
باحث فى السماء يطلب شيئاً غاب عن عين غيره فى السماء

(١) هوجاء ، لأنها لا تستقر لتطلعه إلى ما ينشده من الحق في كل ناحية
(٢) صنو : قريب

وهو فينا جزء من الزمن الأ ول ذكرى لسالف الآباء
وجهه رائع كوجه أبى الهو ل رأى ما مضى على الغبراء
قلت ياشيخ ما دهاك وما شأ نك بين الأموات والأحياء
قال من يدرس الحياة طويلاً لَخَلِيقٌ بضَحْكَةِ الجهلاء
كنت والكون فى الطفولة أغدو وشـباب الأيام فى الغُلواء
وصرعت المنون حتى لأنسا نِيَ طولُ الحياةِ حُكْمَ الفناء
دُوَلٌ قد أتت وأخرى تَقَضَّتْ وبقائي بين الأنام بقائى
وشهدتُ الصروف من قبل عادٍ والمنـايا تَجُرُّ ذيل العَفاء
أَنْشُدُ الحقّ لستُ أَلْوِي إلى البا طل فالحق يُطَّبي بالرجاء[1]
عشت دهري بالبحث والأمل الحا و ولولاه لم أَفُزْ بالنجـاء
من سهام المنون إنَّ سهام الـموت فينا كثيرة الإصماء[2]
هِمْتُ يوماً من قريتى أنشد الحـق . لعلى أراه فى الدهماء
عِفْتُ بيتى وبلدتى وهجرت الـ أهل أبغى رىَّ النفوس الظِماء
ظمأ النفس مثله ظمأ الجسـم وداء النفوس كالأدواء
زعم الناس بى الجنونَ وقالوا طالب الحق أخرق الأحياء
كلما لاح شامخ قلت إن الـحق يغدو مِنْ خَلْفِهِ بإزائى
ورَعَيْتُ الظلماء عَلِّى أراه خارجاً من سرائر الظلماء[3]

(١) يطبي : يستمال (٢) الاصماء : إصابة المقتل ضد الاشواء
(٣) على : أى لعلي

وجزعت الصحراء أرجو لقاء
منه يُرجَى في وحدة الصحراء(١)
ولكم غُصْتُ في العُبَابِ عليه   إنما الدر منه في الأحشاء
وأثَرْتُ الأصداء أبغي جوابا   لسؤالي في منطق الأصداء
وسألت الرياح عنه فَصُمَّتْ   عن دعائي فلا تُجِيبُ دعائي
وسألت السماء تبرز وجهاً
منه يَبْهَى في الأفق جَمَّ الضياء(٢)
وأعارَتْنِيَ الطيورُ جناحا   أرتجي منه لقية في الفضاء
طالما خاب ناشد الحق لكن   رجائي كما عهدتُ رجائي
قد يجيء الصباح منه بوجه   طالما كان مُضْمَراً في الخفاء
أو تُبِينُ الأحلام منه ضياء   في سماء الأحلام مثل ذُكاء(٣)
قد صحبت الانام طُرًّا كأني   بينهم في تَلَوُّنِ الحرباء
كان لي نوح في السفينة خِدْناً   فنجونا من مُهْلِكِ الأنواء
وحباني أشور في نَيْنَوَى العُظْمَى بِسَيْبٍ من جوده وثناء(٤)
ورآني فرعون أَقْدَمُ في الجيش مُشيحاً ورافعاً للواء(٥)
وتَجَلَّى آمون في معبد الأقصر يقضي في شعبه بالقضاء
ولكم جُلْتُ في أثينا وأفلا   طون يتلو فصاحة الحكماء
ورأيت الرومان في رومة العُظْمَى عظام الأعمال والأهواء
وصحبت المسيح في القُدْسِ دهراً   وحباني من روحه بالصفاء
وعبدت النيران قِدْماً ولكن   قد سما بي الإيمان للسمحاء(٦)
وحمدت النعيم والترفَ الوا   فر قِدْماً في صحبة الخلفاء
وحَسَوْتُ النعيم والبؤس حتى   لم أَدَعْ كأس لذة أو شقاء
وصحبت العبيد في ظُلُمَاتِ العيش حتى جُنِنْتُ بالضرّاء
وألِمْتُ الآلام طُرًّا وَلُقِّيتُ عذاباً أُتيح للتعساء
وصحبت الوحوش في البيد حتى   أَنِسَتْ بي الوحوش في البيداء
وأرقت الدماء في الحرب حتى   جُنَّ قلبي من نشوة الهيجاء

(١) جزعت : قطعت   (٢) يبهى : يحسن
(٣) ذكاء هي الشمس
(٤) نينوى : مقر ملك الآشوريين ، والسيب العطاء
(٥) مشيحاً : المشيح المانع لما وراءه من إقدامه وإقباله
(٦) يراد بالسمحاء الديانة الاسلامية

في سكون الليل

للأستاذ ابراهيم العريض

غفا الكونُ .. إلا ما يكونُ من الصَّبا
إذا حرّكت مهدَ الزهور النواعس
تخالينها ــ يا ميُّ ــ طُهراً مجسَّماً   على كل غصنٍ في الخميلة مائس
ويحبس من أنفاسها الليلُ ريثما   يخالطها بردُ الندى المتقارس
فترسل طيباً حولها في دوائرٍ   تدورُ إلى أن يغمرَ الطيبُ هاجسي
وقد سكنت حتى المياهُ كأنها   هنالك تُصغي في الظلام لهامس
يصقّلها مرُّ النسيم فتنجلي   بها صورُ الأشياء شبهَ رواكس
وينظرُ في مرآتها النجمُ حائراً   فليس يرى إلا شرارةَ قابس
أتزعمُ أن اللهَ أبدعَ هذه   لنقضيَ ريحانَ الصبا في المجالس
ولا طيرَ إلا وهوَ طاوٍ جناحه   على الرأس حتى المنكبين كبائس
تخالينه من هيئة الشكل ناعساً   ولكنه ــ يا ميُّ ــ ليس بناعس
فإن لذكرى كل لحنٍ شدا به   سحابةَ يومٍ هزّةً في المغالس
تؤرّقه تلك الهواجسُ موهناً   فيشفق من جرّاء تلك الهواجس
وكم دوحةٍ في الروض حالَ سوادُها   بأنوار بدرٍ شعّ بين المغارس
فألبسَها من نسجه بعد عُريها   وشاحاً لجينيَّ السنا كالعرائس
وتحتَ شعاع البدر أسفرت التي   وعاينتُها تحنو حُنوَّ الأوانس
تعالي هُنا نخلُدْ من العمرِ ساعةً   يداً بيدٍ في نجوةٍ وتهامس

ابراهيم العريض

لم أدع خَطْرَةً أُتيحتْ ولا معنى ولا فكرة من الأراء
أو شعورا أو هاجسا أو طموحا   لا ولا مَشْهَدًا تركتُ لرائي
أنشد الحق بالتقلب في العيش وأبغي سريرة الأشياء
أنت أيضاً شهدت هذا جميعا   غير أَنْ لا تُمَدَّ في الفطناء
قال ما قال ثم غاب عن العين كما يخفت الصَّدَى في الهواء(١)

عبد الرحمن شكري

(١) خفوت الصوت تضاؤل جرسه ، وفي البيت تشبيه امحاء الصورة أو الخيال من العين بامحاء الصوت من الأذن



شارلس لامب يروى عن شاكسبير

٣ ـ قصة الشــــتاء

بقلم الأستاذ دريني خشبة

تتمــــة

والتفت الملك إلى فلوريزيل يقول : « مرحباً بك يا ابن أعز الأحباب وأوفى الأصدقاء ! لقد فقدت محبـة أبيك الذى أهفو إليه وأحن له ، وبنفسى ما أتى من الشوق للقائه ! ولـكن ... بحسبى أن أنظر اليك فكأنما أنظر إليه ... وبحسبى أن أنظر إلى الأميرة الجميلة ، فكأنما أنظر إلى هرميون !

— ومن هرميون يا مولاى ؟

— هرميون ! ويلاه علىّ ! إنها زوجتى المغفور لها يا بنى ! لقد ماتت منذ ست عشرة سنة ... وفقدت كل شىء بموتها ! حتى ابنتى الوحيدة التى لا أعلم أين تعيش اليوم إن كانت ما تزال حية ! آه يا هرميون ! لشد ما تشبهك هذه الأميرة الصغيرة ! ولشد ما تنطبق صورتها على صورتك فى ذهنى المعذب بذكراك ! آه يا بُنيتى ! أين أنت اليوم لأفتديك بملـكى ونفسى ! »

ثم انحدرت عبرات من عينى الملك ، فازدحمت الآلام فى قلب الراعى ، وتأكد أن ابنة الملك هى برديتا الحبيبة التى وجدها فى الغابة ؛ ثم جعل يستعرض براهينه ، فذكر الجواهر التى كانت الواحدة منها تشرى له قطيعاً بأكمله ، وأيقن أنها لا تكون إلا مما يقتنى الملوك ... ثم ذكر ما هو مكتوب فى الورقة فلم يزده إلا ثقة فى حقيقة ما حدس ...

وتقدم الراعى إلى الملك واستأذنه فى الحديث فأذن له ، فأخذ يسرد قصة برديتا كيف تركها رجل فى ظل دوحة على الشاطئ البوهيمى ، وكيف قتل الدب هذا الرجل واغتذى به ، ثم كيف سمع الطفلة تبكى وتئن من البرد والجوع ، وما كان من ذهابه بها إلى زوجته ، وما وجده فى ثيابها من الجواهر واللآلئ وغالى الحلى ، وما وجده مكتوباً فى ورقة مثبتة فى صدرها بدبوس

ولم يكد الراعى يبرز الورقة وما تبقى معه من الجواهر ، ولم يكد الملك ينظر إلى الجواهر فى يديه ، حتى أهرع إلى برديتا وهو يصيح : « ابنتى ! ابنتى ! تعالى يا برديتا ! تعالى إلى صدر أبيك الشقى ! » ثم ضمها إلى صدره ، وراح ينشج نشيجاً مؤلماً ويذرى عبراته الحرار على صدر الفتاة المشدوهة ، التى تركت نفسها حائرة مستريبة فى حضن الملك ، وهى لا تفهم من هذا المشهد المؤثر شيئاً مطلقاً ...

إذن قد عرف الملك جواهره التى أهداها بيديه إلى هرميون ليلة زفافها ! فهذه آية لا يسمو إليها الشك ...

وكانت بولينا — زوجة أنتيجونوس حاضرة — وهى التى حملت برديتا من السجن لتلتقى بها بين يدى الملك — فلما أخذت الورقة من يد الراعى لم تشك فى أنها هى نفس الورقة التى كتبها زوجها[1] وثبتها بيده فى ثوب الطفلة... فكانت هذه آية أخرى .

وبالرغم مما علمت بولينا من أمر زوجها ، وما صنع به الدب ، فانها فرحت بعودة برديتا فرحاً أنساها أشجانها

وآية ثالثة ... فقد ذكر الملك الشطر الأخير من نبوءة دلفى « سيعيش الملك بلا وارث إن لم تمد إليه طفلته المفقودة ! » فأيقن أنها هى ، وأن أبوللو لم يكذب !

وفى هذه الثورة الهائلة من الوجد الجارف ، والذكريات المؤلمة ، تقدمت بولينا إلى الملك ببشرى رائعة !

ذلك أنها كانت قد حرصت على تخليد ذكرى هرميون ، فكلفت المثال الصناع الشهير جوليو رومانو بنحت تمثال للملـكة المغفور لها ، فجاء التمثال طبقاً لهرميون الخالدة ، ثم توسلت إلى الملك أن يتفضل فيذهب إلى منزلها ، ليرى أن تمثال هرميون هو صورة حقيقية لبرديتا !

(١) ذكرنا أن هرميون هى التى كتبت هذه الورقة ولـكنا عدنا إلى قصة شاكسبير نفسها فعلمنا أن أنتيجوس هو الذى كتبها

وذهب الجميع الى بيت بولينا ... وأزاحت بولينا الستار فبدا التمثال الرائع ... ووقف الملك مسبوهاً أمامه يتأمله ...

وذكر الملك أن هرميون تبدو فى التمثال أكبر من سنها الحقيقية ، فلفتته بولينا إلى أن المثال قد أضاف الى عمر هرميون هذه الست عشرة سنة !

ولاحظت بولينا ما انتاب الملك من الحزن ، فاستأذنته فى إسدال الستار على التمثال ... وهنا — يدور هذا الحديث الباكى :

— لا ... لا تسدلى الستار يا بولينا ! ليتنى مت قبل هذا !! أنظر يا كاميللو ؟! ألا ترى إليه كأنه يتنفس يا صديق ؟! ألا ترى إلى عينيها كأنما تتحركان وترنوان ؟! ... لا تسدلى الستار يا بولينا ! إنى أحس كأن عشرين سنة تتكلم من فم هذا التمثال ! أوه — هاهى ذى الحياة تدب فيه ! فيالناحت الذى يضع الأنفاس فى الصخر ؟! ليهزأ بى من يهزأ ، فلا بد أن أقبل الشفتين الحراوين :

— مولاى ... حاشاك يا مولاى ... إن الزيت ما يزال غضاً وقد تعلق الحمرة بفمك ! فلأسدل الستار ، فهذا خير !

— لا ... ليست هذه السنون العشرون ! »

وبينما كان الملك يتكلم ، كانت برديتا الحزينة ساجدة أمام التمثال تبكي وتصلى ، وتتمتم باسم أمها الميتة

وتوسلت بولينا إلى الملك مرة ثالثة فى أن تنزل الستار على التمثال رحمة به ... « وإلا ، فأذن لى يا مولاى أن آمر التمثال فيتحرك ويتكلم ، فإنى قد عُلّمتُ من السحر ما أصنع به هذا ! »

وعجب الملك ، ثم أذن لها ... « لأنى مستعد أن أرى بعينى وأن أسمع بأذنى ! »

وهتفت بولينا بأسماء كثيرة ، فسمع الواقفون موسيقى عذبة تنسكب فى آذانهم وتدب منها فى أرواحهم ، ثم أشارت إلى التمثال فنزل من فوق قاعدته المرمرية ، وخطر نحو الملك ، ثم ألقى ذراعيه على عنقه وقبله ... وضمه فى حنان وعطف ، وتركه وتوجه نحو برديتا فاحتضنها كذلك ، وطبع ألف قبلة على خديها وفمها وجبينها ، ثم جعل يتكلم فيقول : آه يا ابنتى ! الحمد للآلهة فقد عدت أخيراً إلىّ ! ... »

مرحى بولينا مرحى !!!

لم يكن هذا تمثالا كما زعمت بولينا ، بل كانت هرميون نفسها !

إى والله ! كانت هرميون لأنها لم تمت ، كما زعمت بولينا للملك ، لكى تنقذ الملكة من سجنها السحيق ، ومن مأساتها الدامية

وعاشت هرميون مع بولينا طوال هذه السنين مفضلة ألا تعود إلى الملك الذي تأكد من براءتها ، لأنها لم تشأ أن تنفر له ما صنع بابنتها ... فلما أعلن عن عودة برديتا ، دبرت بولينا هذا اللقاء العجيب !

* * *

وفزع بوليكسينز لما علم من هرب ولى عهده . وتأكد أن كاميللو أبق به إلى صقلية ، فاقتص آثارها — فيا لمحاسن الصدف ؟!

لقد وصل بوليكسينز فى هذه اللحظة السعيدة التى التقى فيها الأحباب ، واطمأنت عندها القلوب !

وعرف أن برديتا لم تكن راعية شاء ولا رفيقة بُهَم ... وأنها ابنة صديقه الأعز ملك صقلية ، فلم يكن أحب إلى نفسه من أن تكون زوجة ولى عهده .

دريني خشبة



معرض الفن بكلية الحقوق

أقامت لجنة الفنون الجميلة بكلية الحقوق معرضها الأول السنوى الشامل لمجهودات طلابهـا وأستاذين من أساتذتها في التصوير والرسم ؛ وقد وفقت هذه اللجنة الفتية المباركة التي يرأسها الدكتور على أبو هيف أجمل توفيق فى بلوغ الغاية التى تنشدها ، واستطاعت أن تقدم من الفن الجميل آيات إذا كان هـذا يومها فأكرم بغدها

وإن المجموعة الأولى التى قدمها الدكتور أبو هيف ليتجلى فيهـا روح الفنان الموهوب فلقد وفق فى إبراز المعاني الخفية فى جلاء ووضوح ، ولعل الناحية التى يبدو فيهـا فنه هى الناحية الغريزية فى النفس ، فإن الناظر ليرى فى عيني صاحبة « نشوة الألم » كل المعانى التى تجول فى خاطرها فهي تكاد تثب وثوباً من مقلتيها ، أما صورة « الندم » فقد كان أولى بها أن تسمى « بالذكرى » أو « الحنين » إذ يتبين الناظر فى ضم ذراعى صاحبتها معانى اللهفة الحائرة ، أو كأنها تخشى أن تنسرب من نفسها نشوة لحظة فهى تضم ذراعيها فى قوة وتشبكهما على صدرها . وتتجلى مقدرة الأستاذ الفنان في تصوير الناحية الجنسية Sex فى صورته الفحمية الرائعة « نداء الذكريات » ففيها استلهام لماض معسول ، وانتشاء بذكرى عابرة عاطرة ، كما استطاع فى هـذه الصورة نفسها أن يبرز بدائع التكوين الجسدى وروائع الفتنة . وهناك ناحية أخرى لازم التوفيق فيها الدكتور أبا هيف ، تلك هى نقوشه الرائعة لصور الطبيعة ، فلقد جلى خبايا الحسن والروعة فيها فى دقة بالغة فى « فجر الربيع » وفى « سكون الصباح وسحر الغروب » وكلها تنطق بأنه فنان ملهم عرف فى هـذه الصور وغيرها كيف يوفق بين الألوان واتساق الظلال والأضواء كما يبدو ذلك فى «هيكل الحب» وهى صورة غلب فيها خيال الشاعر على إدراك الفنان فجاءت مزيجاً من الاثنين معاً

ويطول بنا الكلام لو وقفنا عند مجموعة كل طالب فنان ، وحسبنا أن نشير هنا إلى أن هذه الصور تدل على نبوغ كامن فى نفوس لاينقصها غير التشجيع والأخذ بيدها فى هذه الطريق فإنها ولاشك ستبدع وستكون للفن الجميل خير معوان

ويغلب على الطلبة في هذه النواحى الميل لصور الطبيعة ، وعلى الأخص مناظر النيل الساحر فى مختلف الأحوال ، ففيها بذلك روح مصرية جميلة نرجو أن نجد من الحدب ما يأخذ بها فى سبيل التقـدم ومدارج الكمال . ومن هؤلاء كمال نجيب وزكي واعيش وإحسان والدالى والسمنودي ودسوقي وحتاتة ويحيى سامى وحنفى وحمزة ومدكور والشموتى . وإن ما أبدعته ريشة الفنان الشاب إحسان أحمد ابراهيم لما يدل على روح فنية أصيلة يرجى منها الخير ، والحق أن ما عرضه آية فى بابه يستحق عليه التهنئة ويستأهل عليه الثناء ، وصوره هذه تشير إلى نبوغ فطرى فيه سيؤتى أكله فى القريب إذا والى العناية بهذه الناحية . ولقد أجاد وأوفى فى الإبداع فى « الغروب بالأقصر » فإن تعانق الشمس بالمياه فى هذه اللوحة لما يلهم الخاطر شتى المعانى وتتدفق حيالها الأخيلة الرفافة ، فهذه الشمس معبودة المصريين القدماء تحنو على المياه التى مدت متنها مركباً ذلولا لفراعنة مصر وكأنها تهمس فى أذنها بمعانى الخلود ، وتنغم أغنية العصور فى مسمع الدهر

كذلك استطاع الأسـتاذ لوسيان شيرون الأستاذ بكلية الحقوق أن يقدم باقة عطرة من صوره للآثار المصرية والاسلامية وهى على قلتها تنبىء عن مقدرته التامة التصويرية ، كما تشير لميله للآثار .

ع . حبشى

ألدوس هوكسلي

إذا عد الثلاثة الأوائل من زعماء الفكر فى انجلترا فى العصر

الحديث فلا شك أن ألدوس هوكسلي يكون ثالثهم ؛ وأولهم — فيما نرى — هوبرتز دشو . وثانيهم هو هـ . ج ولز — وقد نظلم برتراند رسل بهذا الترتيب ، وهو على كل حال رابعهم ، وله مزاياه التي يتفرد بها بينهم ... وألدوس هوكسلي هو ابن العلامة الأشهر توماس هوكسلي الذي اهتدى إلى نظرية النشوء قبل أن ينشر داروين كتابه (أصل الأنواع) بثمانية أعوام ، والذي لولاه ولولا كتاباته الخالدة لم يكن لداروين هذا الذكر وذاك الخلود ... وهوكسلي الصغير هو أحد الكتاب الشباب ، وإن يكن قد جاوز الأربعين ، الذين برزوا إلى الوجود بعد الحرب الكبرى ، والذين ثاروا على القديم تلك الثورة الهدامة التي كادت تأتي على أسس الأدب الانجليزي المحافظ . وقد اشترك مع هوكسلي في هذه الثورة لورنس وجويس وفَلسَفها شو ، لكن لورنس وجويس كانا يتخذان في ثورتهما سلاحاً من العاطفة مسنوناً ، ومادة من الجنس يتغلغلان بها إلى أعماق القلوب ، وكذلك كان يفعل هافلوك أليس ، وما يزال ؛ إلا أن أليس عالم يحلل النفس وكأنه في معمل من هذه الحياة ، وقصته (أوليز) آية علمه ، وقصته الجديدة (رقصة الحياة) آية أخرى... وألدوس هوكسلي ثائر من صنف أليس ، وعالم مثله ، وبينه وبين ولز صداقة حميمة ، ويحسبه القارئ من تلاميذ شو ، لكنه في الحقيقة تلميذ السويدي العظيم هنريك إبسن ، وقد ظل طوال حياته الأدبية متأثراً بطريقته فهو يهدم ولا يبني ، ويشخِّص ولا يصف العلاج ... ولكن انقلاباً عظيما حدث فجأة في حياة هذا الأديب الكبير ، فقد أصدر كتاباً جديداً له أسماه الغايات والوسائل Ends & Means تناول فيه علل الحياة الحاضرة من سياسة وتعليم واقتصاد وأطماع فجمل يبدئ ويعيد في أسبابها ، ثم يشرع بعد ذلك في وصف الدواء لكل حالة . وقد فزع هوكسلي في مقدمة كتابه من الحالة المخيفة التي انتهى إليها العالم جملة والأفراد متأثرين بما يرون من أعراض العلل التي تنتاب الأمم في موكبها المضطرب الذي تسير فيه إلى نكبة محققة ... وقد اعتدل هوكسلي في مؤلفه الجديد فيما يخص الأديان ، بل هو يعترف أن التدين سيلعب دوره الخطير في رد العالم إلى التعقل ، ويبدو هنا أنه تأثر بالأديب الفيلسوف الفرنسي الكبير برغسون الذي وقف لوالد المؤلف ولداروين بالمرصاد ، يرد نظرياتهم المادية ، ويقفها صامتة جامدة أمام حججه الروحية التي لم يستطيعا نقضها ، والتي جاء مؤلف هوكسلي يؤيدها ويبشر بها ... وينعى هوكسلي على طرق التعليم والتربية المنتشرة في العالم اليوم أنها رثة بالية ، وأن مكروب الفساد الذي ينخر في كيان البشرية في هذا العصر ينتشر من رحمها ويتكاثر فيها ، ودليله أن أرقى الأمم وأقواها ، وأكثرها مدنية ومدارس وجامعات هي التي تهدد سلام العالم وتتربص بغيرها الدوائر ، وتمد أدوات الدمار لساعة الجد ؛ ولو كانت وسائل التربية والتثقيف ناجعة لما نامت الملائكة واستيقظت الشياطين وتأججت الحفائظ بالعداوات بين الدول ... وهوكسلي هنا يبدو من أنصار فكرة السلام العالمي ، بل هو من دعاة البشرية التي بحّ صوت ولز بتحبيذها ... وقد وجم الرأسماليون الانجليز من صيحة هوكسلي ، وبدأوا يسفهون فلسفته الاجتماعية الجديدة ، وهذا لأنه عاب توزيع الثروة العالمية بين الأمم ، وصرح بأن استئثار بعض الدول دون البعض بخيرات الأرض هو شلل لنشاط أمم ناهضة عاملة ، كما أنه تخمة تشل نشاط الأمم المالكة

وسنعود إلى هذا الكتاب القيم حين نفرغ من قراءته

الحبشة بعد الفتح الايطالي

قام الميجر . ا . و بولسون نيومان الانجليزي برحلة طويلة في بلاد الحبشة بعد استقرار الفتح الإيطالي فيها استغرقت ثلاثة أشهر (من مارس إلى يونيه سنة ١٩٣٧) متبعاً طريق الغزو التي سار فيها الجنرال بادوليو مبتدئاً من مصوع ومارًّا بعدوه وأكسوم وماكالي وكوارم ... إلى ديسى . ثم إلى أديس أبابا ثم إلى لممتي (ا) فسايو فجمبيلا فحدود السودان ، ثم انثنى بطريق الجنرال جرازياني إلى مقدشو على المحيط الهندي . ثم ركب الطائرة من قسمايو في (الصومال) فطاف بمقاطعة أوجادن إلى ديردوا وإلى هرر ومن ديردوا بالسكة الحديدية إلى جيبوتي وبالباخرة إلى الميناء الإيطالي الجديد عند عصب . وقد كان أهم ما لفت نظر الميجر بولسون هو زوال روح الجفاء بين الأحباش المقهورين والايطاليين الغزاة ، وهذا النشاط العجيب الذي يبديه الإيطاليون في تحضير الحبشة وترقية مرافقها الحيوية وانتشار المدارس الايطالية في أرجاء إمبراطورية أسد يهوذا . وقد ألف الميجر في رحلته هذه

كتاباً هو أحسن ما وصفت به الحبشة إلى اليوم . وبالرغم من أن المؤلف إنجليزي فالكتاب موضوع فى أسلوب حى وروح غير عدائى .

كتاب جديد للمستر ولز

من أنشط المؤلفين فى العصر الحديث وأكثرهم إنتاجاً هو الكاتب الأشهر هـ . ج ولز الذى لا يكاد يمضى عام إلا ويتحف قراءه — وهم عشرات الملايين — بكتاب جديد تحتاج قراءته إلى عام أو أكثر من عام ؛ وأحسن ما ألف ولز هى طوبوياته التى يدفع بها الإنسانية إلى السبرمان . وقد دعا فى السنوات الأخيرة إلى وجوب عالمية التعليم وهى عالية لا تفهمها القومية ولا تريد أن تستسيغها ، لأنها نقيض لها ، فالعالمية هى الديمقراطية بين الأمم ، أما القومية فهى الاستبداد بين الأمم ، وسلاح الأولى السلم والصالح العام ، أما سلاح الثانية فالحرب والتغلب والتبرير . وولز من أجل ذلك يدعو إلى وجوب جعل التعليم عالمياً ، وانتزاع أخبار الحروب والصدام بين الأمم وتراجم الطغاة والمستبدين من صلب منهاج التاريخ الذى يدرس للتلاميذ فى مدارس العالم قاطبة حتى لا تخدعهم الكبرياء الوطنى عن صالح البشرية العام . وهو يدعو أيضاً إلى تأليف موسوعة عالمية تبشر بالأخاء الإنسانى وتكون إنجيلاً حديثاً يوجه البشرية ويمهد لحكومة عالمية تحل محل عصبة الأمم التى ماتت ورنقت الغربان الجائعة فوق جيفتها تنوشها وتمزقها . وقد طاف ولز أنحاء العالم وراح يدعو إلى مذهبه فى جامعاته ، وقد حاضر فى أمريكا وفى انجلترا وفى فرنسا فنور الأذهان لما دعا إليه ، ثم جمع محاضراته وأحاديثه ومقالاته وأصدرها فى كتاب واحد سماه World Brain وهو اسم غريب تشوهه الترجمة

رابطة التربية الحديثة

زار مصر الأستاذ برفيه مدير معهد جان جاك روسو وكان من أثر زيارته أن اقترح إنشاء فرع فى مصر لرابطة التربية الحديثة يكون من أغراضه مناقشة شئون التربية والتعليم والوقوف على التيارات المتصلة بها فى العالم الحديث وإحداث تجارب فى هذا الصدد عمليا ، وعقد الاجتماعات الدورية الخاصة ، وإلقاء محاضرات عامة ، وعقد المؤتمرات ، ونشر البحوث الفنية ، وإنشاء مكتبة لهذا الغرض ، والاتصال بالهيئات التربوية فى الخارج

وقد أنشئت فعلا هذه الرابطة من كبار رجال التعليم وألف مجلس إدارتها من صاحب العزة الدكتور احمد عبد السلام الكردانى بك ناظر معهد التربية . والأستاذ اسماعيل القبانى ناظر مدرسة فاروق الأول الثانوية ، والدكتور عبد العزيز القوصى الأستاذ بمعهد التربية ، والأستاذ محمد فريد أبو حديد الموظف بالمعارف ، والدكتور سيد أبو باشا ناظر مدارس النيل ، والدكتور أمير بقطر الأستاذ بالجامعة الأمريكية ، والآنسة أسماء فهمى ، والآنسة سمية فهمى ، والأستاذ محمد عبد الواحد خلاف مدير التعليم بالجمعية الخيرية الإسلامية ، والأستاذ احمد خلف الله المدرس بالجامعة ، والأستاذ على النحاس بمعهد التربية للبنات ، والاستاذ رياض عسكر وكان أول ما فكرت فيه موضوع الامتحانات فى مصر على نحو ماذكرناه فى العدد الماضى

ذكرى الرافعى

اعتزمت مصلحة الإذاعة الفلسطينية بالقدس الاحتفال بذكرى المرحوم الرافعى لمناسبة مرور عام على وفاته فى ٩ مايو سنة ١٩٣٨ ودعت بعض أدباء المصريين للمساهمة فى هذا الاحتفال . وإنه لوفاء يستحق الإشادة والذكر كنا نرجو أن تكون محطة الاذاعة المصرية أسبق إليه إحياء لذكرى فقيد العروبة الكبير الذى نشأ فى مصر وكانت لها حياته وفيها مثواه . على أن الوقت ما زال متسعاً لتفكر محطة الاذاعة المصرية فى القيام بهذا الواجب ؛ جرياً على سنتها فى الاحتفال بذكرى الخالدين من أدباء العربية ، ومنها الأسوة فى الاحتفال بذكرى الشاعرين الكبيرين شوقى وحافظ إبراهيم

مدرسة الخدمة الاجتماعية فى خدمة الفلاح

أنشئت مدرسة الخدمة الاجتماعية فى القاهرة لإعداد الشباب لخدمة المجتمع ، واستغلال جهودهم للصالح العام . وكان طبيعياً أن تتجه الفكرة فى المدرسة إلى تنظيم دراسة الخدمة الاجتماعية فى القرية فوضعت لذلك برنامجاً منظماً وافياً يشمل كل نواحى القرية ويدرس أكثر المشاكل الريفية دراسة عملية قائمة على الخبرة والتجارب ونظرة إلى هذا البرنامج تبعث فى نفوسنا الاطمئنان على ما تقدمه الخدمة الاجتماعية فى القرية :

تقدمة عن تاريخ الفلاح . اقتصاد زراعى وتعاون ومسائل صحية . التعليم . تجميل القرية والمسكن . ترغيد الحياة الريفية الأمن العام . الفلاح والدولة . مسائل اجتماعيـة . الخدمات الاجتماعية فى الريف

وقد بدأت هذه الدراسة الريفية يوم ١٣ أبريل وتستغرق نحو شهرين وتلقى المحاضرات فى أحد مدرجات كلية الطب ويقوم بإلقائها نخبة ممتازة من المتصلين بشئون القرية والمهتمين بإنهاض الفلاح ، نذكر منهم الآنسة ابنة الشاطئ وإبراهيم رشاد بك والدكتور محمد خليل عبد الخالق بك والدكتور على بك حسن والدكتور حلمى السعيد والدكتور القللى بك والدكتور عبد الله العربى بك والدكتور مأمون عبد السلام والدكتور احمد حسين

وإلى جانب هذه الدراسات العلمية المنظمة تقوم المدرسة بزيارات عملية للريف .

كتاب شواهد القبور

نشر الأستاذ جاستون فييت مدير الآثار العربية « كتاب شواهد القبور » وهو السفر التاريخى الذى يسجل فيه هذا العالم ما يعثر عليه من شواهد القبور فى العهود الاسلامية المختلفة فى مصر ، ونورد فيما يلى نموذجاً من هذه الشواهد ، وما كتب عليها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، هذا قبر محمودة بنت عبد الله بن موسى بن خالد توفيت يوم الجمعة لأربعة عشر ليلة خلت من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين وثلثمائة »

وكتاب الشواهد موضوع باللغتين العربية والفرنسية ويقع الجزء الخامس منه — وهو الذى صدر أخيراً — فى نحو مائتى صفحة حافلة بما وجد على القبور من مثل هذه النقوش ، كما ألحق بها رسوم واجهات هذه القبور فى نحو خمسين صفحة من الورق الفاخر المصقول

اشتراك مصر فى معرض البندقية الفنى الدولى

يقام معرض الفنون الجميلة الدولى المعروف باسم « البينالى » فى مدينة فنيسيا فى الصيف القادم ويعد هذا المعرض من أكبر معارض الفنون الجميلة وتشترك فيـه الدول كلها فيمثلها كبار الفنيين من مصورين ومثالين

وقد قررت وزارة المعارف المصرية الاشتراك لأول مرة فى هذا المعرض ، فخصص للفنانين المصريين جناح كبير تعرض فيه مبتكراتهم التى عنى بانتقائها الأستاذ ريمون مراقب الفنون الجميلة فى الوزارة

وألفت لجنة من حضرات الأساتذة محمود سعيد ومحمد ناجى ومحمد حسن وراغب عياد ويوسف كامل وأحمد صبرى ولبيب تادرس وسعيد الصدر وعلى الديب ومحميا سعد من رجال الفنون المصورين والمثالين لترتيب المعروضات وتنسيقها فى المعرض

جائزة للتعاون الدولى

نظم « مركز نشر الفكر الفرنسى » مبـاراة لنيل جائزة « رحلة الى فرنسا » مقدارها عشرة آلاف فرنك

وهـذه الجائزة تمنح لشاب مصرى يضع أحسن بحث فى الموضوع الآتى :

« الإبانة على نور الحوادث والتجارب بعـد الحرب ، عن مدى التضامن الاقتصادى وقوته ، الذى يربط الأمم بعضها ببعض حتى ولو تفاضت عنه »

ويجب أن يكون المتبارون مصريين ، دون الخامسة والثلاثين من العمر ، وأن يكونوا من تلاميذ مدرسة عالية أو من خريجيها ، وان يقدم كل منهم « بحثه » فى هـذا الموضوع قبل ١٠ مايو القادم ، إلى عميد مدرسة الحقوق فى الجيزة ، على ألا يزيد هذا البحث على خمس وعشرين صفحة ، مكتوبة بالآلة الكاتبة ، وأن يقدم منه ثمانى نسخ ، ولا ينبغى أن تذيل هـذه النسخ بتوقيع صاحبها ، بل يجب أن ترفق برسالة فيها اسم صاحبها ، وتكتب « البحوث » باللغة الفرنسية أو باللغة العربية مع ترجمتها بالفرنسية

لعبة الشطرنج عند قدماء العراقيين

أثبتت الآثار القديمة المكتشفة أخيراً فى العراق أن سكان العراق القدماء كانوا يلعبون الشطرنج ، وأن هذه اللعبة كانت إحدى وسائل اللهو عندهم . وقد أثبت هذا معهد الأبحاث التاريخية وبعثة بنسلفانيا الأمريكية التى تباشر أعمال التنقيب فى العراق . وقد وجدت بعض القطع فى شمال العراق . ويرجع عهـدها إلى أربعة آلاف سنة ق . م . ويدل وضع هذه القطع على أنها استعملت كثيراً فى اللعب

تعداد سكان العراق

ظهر من السجلات الرسمية أن النفوس المسجلة فى العراق فى الوقت الحاضر بلغت ١ر٨٤٦ر٩١٥ نسمة من أهالى المدن و ١ر٥٢٣ر١٩٦ نسمة من العشائر فالمجموع ٣ر٣٧٠ر١١١ نسمة. وتقدر النفوس غير المسجلة من سكان المدن بعشرة فى المائة أى ١٨٥ر٠٠٠ نسمة، ومن العشائر بستين فى المائة أى ٩١٤ر٠٠٠ نسمة، فيكون مجموع النفوس غير المسجلة ١ر٠٩٨ر٠٠٠ نسمة ومجموع نفوس العراق ٤ر٤٦٨ر٠٠٠ نسمة

وفاة المغنى الشهير شاليابين

توفى المسيو فيدور شاليابين المغنى الروسى الذائع الصيت. وقد ولد فى بلدة كازان بروسيا أول فبراير سنة ١٨٧٣ واشتغل عدة أشهر «صبياً» لصانع أحذية ثم موظفاً صغيراً فى السكك الحديدية وتلقى مبادئ الموسيقى الأولى عند انضمامه إلى فرقة المرتلين بكنيسة بلدته كازان ولما بلغ السابعة عشرة من عمره انضم إلى فرقة تمثيلية متنقلة، وكان يقوم فيها بالغناء والرقص. وتلقى الدروس الموسيقية الأولى على الأستاذ أوستانوف فى مدينة تفليس سنة ١٨٩٢ وظهر لأول مرة فى دار الأوبرا فى رواية «حياة القيصر» بمدينة بتروجراد ١٨٩٤ ثم أخذ يتنقل فى جميع دور الأوبرا فى روسيا، وكان ظهوره لأول مرة خارج روسيا فى لاسكالا دى ميلانو وتنقل بعد ذلك فى عواصم أوربا وأميركا وكانت أولى رواياته السينمائية رواية «دون كيشوت» وله عدة مؤلفات منها «صفحات من حياتى» و «الرجل والقناع» وكان يميل إلى الرسم والتصوير وصيد السمك

المطابع السارقة

إلى مجلة الرسالة الغراء

يرى الأستاذ المازنى أن «تنظيم النشر» فى مصر يكفى لازالة أسباب الشكوى التى يشكوها الكتاب والمؤلفون، وأن هذا التنظيم وحده هو أعود عليهم بالربح والجدوى. وللأستاذ الحق فى هذا الرأى، غير أن علة أخرى لم ينتبه إليها مع أنها من أكبر أسباب الغبن الذي أدرك الأدباء العرب فى هذا العصر

حدثنى أحد باعة الكتب فى الجزائر بأنه كان سافر إلى مصر ليقف بنفسه على طبع ثلاثة مخطوطات، وتعاقد مع مطبعة كبيرة فى القاهرة. وشرعت هذه فى العمل، وكان هو يتردد عليها صباح مساء. فلاحظ أنها تطبع ضعفى الكمية المطلوبة من النسخ، فذكر لصاحب المطبعة ما رأى فاعتذر هذا بأن العامل هو الذى أخطأ، وتعهد بإعدام النسخ الزائدة، إلا إن كان حضرة العميل فى حاجة إليها. فأكد له هذا أنه لا يريدها. ثم حدث للعميل ما حمله على زيارة مطبعة أخرى. ولم يكد يدخلها حتى استولت عليه الدهشة، فقد رأى أكواماً من الملازم المطبوعة من نفس الكتاب الذى يقوم هو على طبعه، وذلك لأن المطبعة الأولى بعد ما افتضح أمرها صارت كلما طبعت ملزمة نقلت الحروف مصفوفة مربوطة إلى هذه المطبعة الأخرى فتطبع فيها العدد المسروق.

قال الراوى: وقامت بينى وبين صاحب المطبعة الأولى خصومة حادة عنيفة كادت تنتهى إلى المحاكم. ولكنها سويت على صورة غريبة صرت بموجبها شريكا له فى السرقة، فقد ناولنى كمية مهمة من الكتب القيمة التى طبعها أخيراً على نفقة أصحابها المؤلفين المشهورين. قال: «ومنذ ذلك اليوم أصبحت من عملائه الكثيرين المنتشرين فى كثير من البلدان العربية والإسلامية...» قلت: «وهل كل هذا صحيح...» قال: «نعم. وهنالك أصحاب مطابع أخرى، وهنالك ناس ينسجون على هذا المنوال. وفى القاهرة رهط من الناس (ومنهم أصحاب مكتبات) يحترفون ترويج الكتب المسروقة ووسقها إلى خارج القطر المصرى...»

لقد ارتبت لأول مرة فى صحة هذا الكلام وما لبثت أن استيقنت عند ما اطلعت على حوادث أخرى من هذا القبيل؛ فقد عرض علينا ذات يوم أحد باعة الكتب فى فاس قائمة بأسماء كتب قيمة طبعت ولا يزال بعضها يطبع فى القاهرة (وهى بأقلام أئمة الأدب فى العصر الحديث) بأسعار مخفضة إلى حد غير معقول. فقلت لا يخلو الأمر من إحدى اثنتين: إما أن تكون هذه الكتب فى منتهى الرداءة طبعاً، وورقاً أو أن عارضها قد ارتبكت أحواله المالية وأشرف على الافلاس فهو يبيعها بأي ثمن

ثم عرفت أنه لا هذه ولا تلك وإنما هذا الرجل هو أحد عملاء المطابع السارقة ... وكان أحد المتعهدين فى الجزائر



السينما فن وذوق وليست أكاذيب وجهالة

أجازت الحكومة المصرية في الشهر الماضي لشركة «راديو» الأمريكية أخذ فلم عن الحياة المصرية وتطوراتها من نوع الأفلام التي تخرجها هـذه الشركة بعنوان « دورة الزمن » The March of Time ولقد شهدنا عدة أفلام من هذا النوع نذكر منها فلماً جيلاً عن تركيا ؛ والرأى الذى استخلصناه بعد رؤية عدة حلقات من « دورة الزمن » أن هـذه الأفلام تقوم على أساس تاريخى صحيح وأنها ليست من نوع أفلام الدعاية المزيلة أو من نوع الأشرطة الاخبارية العادية . على أننا نشفق مع ذلك أن تخطئ الشركة المصادر التي تستق منها مادة الفلم أو أن تعتمد على ما تلفقه عادة الأفلام الأجنبية عن مصر وشعبها ؛ وكثيراً ما رأينا القوم يصوروننا قبائل رحلا في بلد صحراوى تناثرت فيه بعض المدن المليئة بالمآذن والقباب ، وفيما عدا ذلك فرمال وجمال وخيام . فلعل أولى الأمر لا تفوتهم مباشرة هـذه الحقائق ومعالجتها بما يكفل لنا كرامتنا ولتاريخنا وقائعه الصحيحة

ولهذه المناسبة أذكر كثيراً من الأفلام التي مسخت الحوادث وشوهت من حقائق التاريخ فاساءت إلى بعض الشعوب . وأول ما يعنينا من هذه الأفلام فلم مصرى حديث الانتاج كان من شخصياته الرئيسية شخصية كسرى وقد أخرجت بشكل مزر غضب له إخواننا الايرانيون . وقد كتبت رأيى فى هذا الفلم فى العام الماضى من تقرير قدمته إلى لجنة تشجيع السينما بوزارة الداخلية طلبت فيه منع مثل هـذه الأفلام وهذا الفلم على الخصوص الذى حاول أصحابه أن يعرضوه على رغم حقارته بمعرض البندقية الدولى . وقد صادرت الحكومة هذا الفلم ولكنها مصادرة جاءت متأخرة

نقدم مثل هذه الاساءة إلى قطر صديق فى غير ضرورة يبيحها الفن أو الذوق أو حتى التقدير التجارى . وقبل عرض هذا الفلم بزمن قصير يحمل لنا البرق خبر شجار كبير حدث فى إحدى دور العرض بأمريكا الجنوبية بين جماعة من الأهالى وفريق من إخواننا السوريين المستوطنين هناك عند عرض شريط عن مصر قابله الأمريكيون بسخرية استفزت إخواننا السوريين فثاروا لكرامتنا وقابلوا المتدين بالضرب

نسمع هذا فى الوقت الذى تقدم فيه هذا المثل غير اللائق لإيران

***

وطالما تولدت الأزمات الشابهة فى كثير من الأفلام ، ومن ذلك أن شركة براموت قد أخرجت فلماً عرض باسم « مات الجنرال فى الفجر » وفيه تحقير للشعب الصينى . فما أن علمت الحكومة الصينية بأمر هذا الفلم حتى بعثت للشركة إنذاراً بسحب

قد عرض مجلة الرسالة (التى يصدرها فى القاهرة الأستاذ الزيات) على صغار الباعة والمتعهدين بثمن بخس جـداً ... وتبين أنه كان يستوردها من مكتبة بالقاهرة لها صلة وثيقة بمطبعة سارقه كانت « الرسالة » تطبع فيها قبل أن تتخذ لنفسها مطبعة خاصة . وأكثر هؤلاء «العملاء» ينشرون الدعوة ضد مطبوعات «لجنة التأليف والترجمة والنشر» فى القاهرة . وسبب ذلك (فيما يظهر) هو أنهم لم يستطيعوا أن يسرقوها ... وهذه الأشياء فضلاعن كونها تؤذى سمعة مصر أذى شـديدا ، فهي ضربة قاضية على الحركة الأدبية فى مصر والعالم العربى . ونعتقد أنه لابد للحكومة المصرية أن تعالج هذه الحالة بما تراه ناجعاً . لكى تسير حركة النشر فى طريقها المشروع

« وهران » الوفاق محمد السعيد الزاهرى

هذا الفلم من جميع أسواق العالم وإلا تحرم الحكومة الصينية عرض أي فلم في المستقبل من إنتاج شركة بارامونت. وقد انصاعت الشركة للأمر لأنها لا تستطيع أن تضحي بسوق كبيرة مثل الصين. وقد أخرجت نفس الشركة قبل ذلك فلماً آخر يسيء إلى أسبانيا بعنوان «الشيطان امرأة» مثلته مارلين ديتريش وشهده الجمهور المصري فنع عرض هذا الفلم بأسبانيا وأرسلت حكومتها احتجاجاً قابلته الشركة بالاعتذار والأسف

* * *

وهناك حكومات يقظة تنتبه إلى الأمور قبل وقوعها، ومثل ذلك ما فعلته الحكومة التركية مع شركة مترو إذ أعلنت هذه أن من مشروعاتها الكبيرة إخراج فلم بعنوان «أيام موسى داغ الأربعون» وفي تصوير هذا التاريخ ما يجرح الشعور التركي، فلما علمت الحكومة التركية بنية الشركة نصحتها بالعدول عن المشروع واستجابت الشركة فعلا للنصيحة ودفن المشروع

وقد كانت شركة (فوكس — القرن العشرون) قد انتوت إخراج سلسلة من الأفلام الشرطية على غرار أفلام «شارلي شان» الشرطي الصيني لبطل ياباني للأفلام الجديدة اسمه «موتو» وقد أخرجت الشركة بالفعل أول هذه الأفلام Think fast Mr. Moto ولم يعرض في بلادنا بعد، ومثل الشرطي الياباني الممثل المعروف بيتر لور. وقد طلبت الحكومة اليابانية بعد إخراج هذا الفلم من الشركة المذكورة أن تطلعها على موضوع كل فلم من هذا النوع للموافقة عليه قبل البدء في إخراجه. وقد أدى هذا التدخل إلى وقف سلسلة مستر موتو

الرأي الذي نخرج به أخيراً أن السينما كأي فن يجب أن يقوم على الحقائق. فاذا أهملت الحقيقة عن غير عمد فيجب على الأقل ألا يهمل الذوق. فاذا لم يراع هذا أو ذلك فقد فقدت السينما وظيفتها وفائدتها وأصبحت شيئاً يستحق المصادرة والمحاربة

محمد علي ناصف

في السينما

أخطار السينما

تثبت احصاءات شركات التأمين بالولايات المتحدة أن مبالغ التعويض التي دفعت في العام الماضي ضد أخطار السينما تقل ٤٥٫٠٠٠ جنيه عنها في عام ١٩٢٩. ففي هذا العام بلغ عدد الاصابات ٧٧٠٠ إصابة وقف في العام الماضي عند ٤٥٠ فقط.

ومع ازدياد الانتاج السينمائي وقطعه مراحل كبيرة كانت تعتبر من المعجزات وخاصة في إخراج حوادث الحرب وتصوير نكبات الطبيعة من زلازل وعواصف وسيول فان هذا الاحصاء يدل دلالة قاطعة على تقدم الصناعة وأمنها

ومن أشأم الحوادث في تاريخ السينما موت المخرج كينث هوكس من تصادم طائرتين أثناء إخراجه فلم «رجال مجازفون» وكذلك الحوادث التي اقترنت ببعض الأفلام مثل: «ملائكة الجحيم» و «ثورة على السفينة بونتي» و «الطريق الخافي» و «الوريثة المتشردة» والفلم الأخير يعرض الآن بالقاهرة

وتعتبر الاحصاءات أن استديوهات شركة وارنر أكثر الأستديوهات أخطاراً وتتبعها شركة مترو جولدوين. وقد اعتبر إخراج فلم «في شيكاغو القديمة» لشركة (فوكس — القرن العشرون) شيئاً يشبه المصادفة لعدم حدوث أي إصابة رغم تعدد حوادث الفلم من حريق وفيضان وثورة قطعان الماشية واجتياحها آلاف الخلائق، أما أكثر الأفلام أخطاراً فهي أفلام رعاة الأبقار

في المسرح

ايفور نوفيلو من أبرز شخصيات المسرح الانجليزي

انتقل ايفور نوفيلو بموسيقيته Crest of the Wave من مسرح دروري لين إلى تريتهام هيل لاجراء بعض الاصلاحات بالدروري قبل أن يفتتح فيه مسرحيته الجديده

ويعتبر نوفيلو من أسعد رجال المسرح في جميع العصور فهو في الخامسة والأربعين من عمره يؤلف مسرحياته ويلحنها ويخرجها ثم يمثلها . ولا تزال فرقته منذ سنة ١٩٣٥ دائمة العمل في موسيقياته الثلاث الأخيرة لا يقف عملها إلا في الفترات التي بين مسرحية وأخرى ؛ ويقدر له العارفون أن رواد مسرحه في هذه المدة بلغوا ١٫٧٥٠٫٠٠٠ وانه أحيا ٧٥٠ حفلة متوسط دخل الحفلة الواحدة ٦٠٠ جنيه

وبعملية بسيطة يكون دخله في هذه المدة ٤٥٠٫٠٠٠ جنيها دفع منها ضرائب فقط ٦٧٫٥٠٠ جنيه

* * *

تمثل الآن على مسارح برودواي مسرحية « النساء » وجميع شخصياتها نساء وقد رفض الرقيب الانجليزي تمثيلها على مسارح انجلترا إلا بعد تعديل منظر لفتيات مجتمعات في قاعة نوم ولكن المؤلف رفض اجراء هذا التعديل .

* * *

يعتبر هذا الموسم من أكسد مواسم التمثيل في أمريكا ، ولذلك فان قيام مسرحية ناجحة وسط عدة مسرحيات فاشلة شيء يقابل بالضجة والتهليل ، وهذا ما لقيته مسرحية Gm Borrowed Time التي اقتبسها للمسرح بول اوسبورن من رواية لورنس ادوارد انكنس ومثل الدور الأول فيها بنجاح كبير دادلي دجز الممثل المعروف في السينما والمسرح

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدي رقم ٧